الجمعية السعودية للدراسات الأثرية

دراسات في علم الآثار والتراث

مجلة علمية مُحكمة تُعنى بالآثار والتراث في الجزيرة العربية

العدد التاسع – ربيع الثاني ١٤٤٠هـ (ديسمبر ٢٠١٨م)

ح دراسات في علم الأثار والتراث ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، أثناء النشر

الجمعية السعودية للدراسات الأثرية

دراسات في علم الأثار والتراث – الرياض

١- الأثار ٢- التراث

الرقم المعياري الدولي (ردمد)- ٠٠٣٣ -١٣١٩

حقوق الطبع محفوظة

الجمعية السعودية للدراسات الأثرية

مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية

جامعة الملك سعود- كلية السياحة والأثار- قسم الأثار

ص- ب ٢٦٢٧ الرياض ١٢٣٧٢- ٧٥٢٤

أعضاء مجلس الإدارة

الدكتور:	محمد بن سلطان العتيبي	رئيسا
الدكتور:	عبد الرحمن بن عبد العزيز السحيباني	نائبا
الأستاذ الدكتور:	مشلح بن كميخ المريخي	أمين المال
الدكتور:	محمد بن عائل الذيبي	أمين السر
الأستاذ الدكتور:	أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي	
الدكتور:	محمد أحمد متولي	
الدكتور:	محمد بن معاضة الشهري	
الأستاذه:	تهاني المحمود	
الأستاذ:	سعيد بن ظافر بن مقبل الأحمري	

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور:	أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي	(رئيس الهيئة)
الأستاذ الدكتور:	مشلح بن كميخ المريخي	عضواً
الدكتور:	محمد بن سلطان العتيبي	عضواً
الدكتور:	عبد الله بن محمد المنيف	عضواً
الدكتور:	محمد بن عائل الذيبي	عضواً
الدكتوره:	نورة بنت عبد الله النعيم	عضواً

إدارة التحرير

الدكتور:	علي بن مبارك طعيمان
الأستاذ:	عايض بن غضن العتيبي

الهيئة الاستشارية

الأستاذ الدكتور:	سليمان بن عبد الرحمن الذييب	جامعة الملك سعود
الأستاذ الدكتور:	عبد العزيز بن سعود الغزي	جامعة الملك سعود
الأستاذ الدكتور:	عدنان بن عبد الله الحارثي	جامعة أم القرى
الأستاذ الدكتور:	فرانسو فيلنوف	جامعة باريس
الأستاذ الدكتور:	علاء الدين عبد المحسن شاهين	جامعة القاهرة

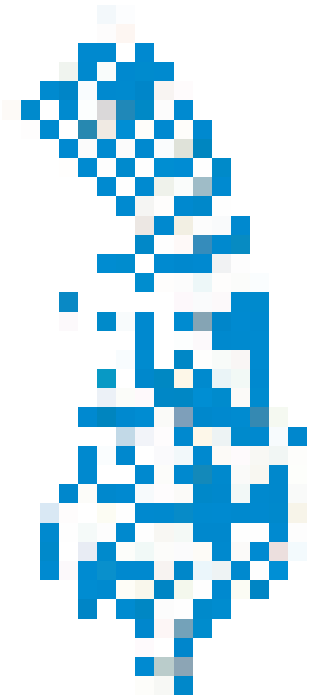

قواعد النشر في أوعية الجمعية السعودية للدراسات الأثرية

أولًا: مواصفات البحوث:

- أن تكون جديدة وتتوافر فيها الشروط المنهجية العلمية، ولم يُسبق نشرها، وأن تسهم في تقدم حركة البحث العلمي في موضوعها، وأن تكون موضوعاتها محددة يراعى فيها التركيز، ومعالجة جزئيات معينة، بدلا من العموميات التي لا تضيف جديدًا.
- تُقبل للنشر الأبحاث الأثارية، والتاريخية، والبيئية، والتراثية، والسياحية، والفندقية، والجغرافية، والجيولوجية، والتقنيات ذات العلاقة.
- ألا يزيد عدد صفحاتها عن ٣٠ صفحة، بما في ذلك الأشكال والصور.
- أن يتجنب معدوها السرد، والإطالة في المقدمات وفي الهوامش.
- قد تقتضي طبيعة بعض البحوث وأوراق العمل المقدمة إجراء مقابلات، واستخدام استبانات وإحصائيات، وهنا ينبغي تطبيق المناهج العلمية والإجرائية المستخدمة في هذا الجانب.
- يجب أن يكون التوثيق على هيئة إحالات في الهوامش، أو في نهاية البحث، وتكون أرقام الإحالات متسلسلة، وتستوفى جميع المعلومات بالمصادر والمراجع طبقًا لنظام التوثيق الموضح في هذه المطوية، وسيأتي بيانها.
- يراعى أن تكون الصور التوضيحية أصلية، والأشكال والخرائط واضحة ومرسومة بالحبر الأسود على ورق شفاف (كلك)، وأن تطبع البحوث على الكمبيوتر – بنظام (Word) بنظام آلي، وأن ترسل مخزنة في قرص ممغنط (CD)، إضافة إلى ثلاث نسخ ورقية، وملخصين باللغتين العربية والإنجليزية في حدود مائتي كلمة لكل ملخص.

- الآراء الواردة في البحوث تعبر عن أراء أصحابها، ولا تتحمل هيئة التحرير أي مسئولية حيال ذلك.
- لن تعاد البحوث وما يتصل بها من أشكال وصور وخرائط ...إلخ إلى الباحث، سواء نشرت أم لم تنشر.
- سوف يزوَّد الباحث بأربع نسخ من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- البحث المرسل إلى وعاء النشر يجب ألا يرسل إلى أي جهة نشر أخرى.
- تُعاد البحوث إلى هيئة التحرير بعد تنفيذ ملاحظات المحكمين، ومن ثم مراجعتها من الباحث والتأكد من الآتي:
  - خلوها من الأخطاء النحوية.
  - خلوها من الأخطاء المطبعية.
  - خلوها من التكرار.

ثانيًا- الإحالات والحواشي:

- تأخذ الإحالات والحواشي أرقام متسلسلة في متن البحث، وتوضع المعلومات المتعلقة بها في قوائم مستقلة في نهاية البحث، مطابقة لتلك الأرقام.

- تطبع الكتب على اختلاف أنواعها، وكذلك المجلات، وما في حكمها ببنط غامق، أما البحوث والمقالات والتقارير فتكتب بين علامتي تنصيص " " وباللغة الإنجليزية تكتب عناوين الكُتب والمجلات والكتب المحررة بأحرف مائلة (italics)، والمقالات بين فواصل متعاكسة " ".

- المعلومات الميدانية، والمقابلات الشخصية، والروايات الشفوية مأخوذة في الحسبان في باب التوثيق، ويشار إليها في الهامش وفق منهج يرسمه الباحث لنفسه، ولا يحيد عنه.

- رغبة في ما نحن بصدده من توحيد الإحالات، إتباع منهجية موحدة في الإصدارات العلمية للجمعية، فإنه يفضل إتباع الآتي:

١. عدم استخدام الألقاب العلمية، والألقاب المكتسبة سواء في متن البحث، أو في حواشيه، أو في قائمة مراجعة، ويستثنى من ذلك ذكر الألقاب في معرض عبارات الشكر والإمتنان، ونحو ذلك.

٢. في حالة وجود أكثر من ثلاثة مؤلفين للعمل الواحد، فإنه يكتفي- كما هو متبع- بذكر المؤلف الأول، والتدليل على الباقي بإضافة كلمة : وآخرون.

٣. تذكر عناوين المجلات والدوريات المستخدمة في البحث كاملة، ولا تستخدم المختصرات إلا إذا عُبر بها عن عناوين مفصلة سبق إيرادها، وأشير إلى أنها سترد في ما بَعد على سبيل المثال الاختصار.

٤. إذا كان عنوان المجلة مكونًا من كلمة واحدة يكتفي بها دون إيراد تفنيدها.

٥. الاختصارات التالية من الأمور المتعارف عليها بين الباحثين للتعبير بها عن بعض المعلومات المغفلة من على أغلفة الكتب المطبوعة، مثل:

- د. م = دون ذكر مكان النشر.
- د. ن = دون ذكر أسم الناشر.
- د. ت = دون ذكر تاريخ النشر.
- د. ص = دون ذكر الصفحة.
- م. م = مؤلف مجهول.

- في النظام المتبع هنا في التوثيق، لا ضرورة لنشر قوائم بالمراجع والمصادر في نهاية البحث: إلا أنه لا بأس من إرفاق تلك القوائم للرجوع إليها عند الحاجة من قبل المحررين.

ثالثًا: أمثلة منوعة على تنظيم المصادر والمراجع في الإحالات:

١. حينما يرد الكتاب المؤلف (مصدرًا أو مرجعًا) لأول مرة يُشار إليه بذكر مؤلفه كاملًا، ومبتدئًا باسم العائلة أو اللقب أو الشهرة، فعنوان الكتاب، ثم مدينة النشر، وأسم الناشر، وتاريخ النشر بين قوسين، فأرقام الصفحات. ولا ضرورة استخدام عبارة مرجع سابق، وأو المرجع نفسه، أنما يذكر بهذه الصورة المختصرة مهما تكرر وروده، أو تتابع ذكره.

٢. المقالة أو البحث المنشور في مجلة أو دورية ونحوها، تجري الإشارة إليه حينما يرد لأول مرة، متضمنة اسم المؤلف، ثم عنوان البحث أو المقالة بين علامتي التنصيص " "، فعنوان الدورية، فرقم المجلة، فرقم العدد،

فمعلومات الشر بين قوسين، ثم أرقام الصفحات. وحينما يرد للمرات اللاحقة يكتب هكذا: العائلة، عنوان المقال بين علامتي تنصيص " "، الصفحة. ولا ضرورة لعبارة مرجع سابق، أو المرجع نفسه، مهما تتابع ذكره أو تكرر وروده.

٣. الكتاب المُحرر حاله حال البحث المنشور في دورية أو مجلة، وهذا مثاله حينما يرد لأول مرة: بذكر مؤلفه كاملًا، مُبتدئًا باسم العائلة، أو اللقب أو الشهرة وأخرون، مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر، الصفحة؛ وحينما يتكرر وروده يشار إليه على سبيل الاختصار هكذا، العائلة ، فعنوان المقال، بين علامتي التنصيص " " ثم أرقام الصفحات.

٤. الكتب المترجمة أو المحققة تتضمن زيادة في معلوماتها عن تلك التي ذكرت في حالة الكتاب المؤلف المذكور في (١): لذلك وجب ذكر تلك المعلومات بعد عنوان الكتاب مباشرة طبقًا للمثالين الآتيين:

- مثال الكتاب المحقق: العائلة، اسم المؤلف، عنوان الكتاب، المحقق، بذكر الاسم ثم اسم العائلة، الطبعة، مدينة النشر، اسم الناشر، تاريخ النشر بين قوسين، فأرقام الصفحات؛ وفي حال الاختصار لا يذكر شخص المحقق. وإنا يُشار إلى الكتاب المحقق على هذا النحو: العائلة ، عنوان الكتاب، الصفحات.

- مثال الكتاب المترجم: بذكر مؤلفه كاملًا، مبتدئًا باسم العائلة أو اللقب أو الشهرة للمؤلف الأول اللقب أو الشهرةفعنوان الكتاب،ثم مدينة النشر، واسم الناشر، وتاريخ النشر، بين قوسين فأرقام الصفحات.

  وفي حال الاختصار لا يذكر شخص المترجم، وغنما يُشار إلى الكتاب المترجم هكذا : عائلة المؤلف، العائلة، عنوان الكتاب، الصفحات.

٥. المقال المنشور في كتاب محرر: اسم العائلة، اسم المؤلف، عنوان المقال بين علامتي تنصيص " "، في : عنوان الكتاب المحرر، تحرير، اسم المحرر، العائلة أو اللقب أو الشهرة و آخرون، المجلد أو الجزء، مكان النشر، الناشر، سنة النشر، الصفحات.

٦. المقـال المنشـور في لقاء علمـي : اسم العائلة، اسـم المؤلف، اسـم المقال، إسم اللقاء، اسم محرره (محرريه)، مكانه، فترة انعقاده، سنة انعقاده، سنة طبعه.

٧. الرسالة العلمية الغير منشورة: (ماجستير- دكتوراه) : اسم العائلة، اسم المؤلـف، عنوان الرسالة، نوع الرسالة ماجستـير أو دكتوراه، القسم المعدة فيه، الكلية التابع لها القسم، الجامعة، السنة، الصفحة أو الصفحات.

٨. الإشارة إلى الصفحات المحال إليها:

- إن كانت الإحالة إلى صفحة واحدة يكتب أمام رقم الصفحة، (ص).
- إن كانت الإحالة إلى أكثر من صفحة، يكتب أمام أرقام الصفحات(ص ص).
- إن كانـت الصفحات المحال إليها متسلسلـة الأرقام، يوضع بين الرقم الأول والرقم الأخير (-).
- إن كانت الصفحات المحال إليها متقطعة الأرقام، يوضع بينهما (،).

٩. ترمز الحروف ادناه في بيانات المراجع:

- م = مجلد
- ج= جزء
- ع= عدد
- س= سنة

١٠. الأشكال والخرائط والصورة:

- الرسوم المحبرة يجب أن تكون على قرص مضغوط.
- الخرائط يجب أن تكون على قرص مضغوط.
- الصور يجب أن تكون مخرجة إخراجًا نهائيًا على قرص مضغوط.
- جميـع الأشـكال التوضيحية تأخـذ أرقام لوحـات متسلسلة، بصرف النظر عن نوع محتوى اللوحة أو عدد ما تحتويه.
- يجـب أن يرقم محتوى كل لوحة مهما كـثر أو قل؛ بدءًا برقم "١"، ثم يليـه إلى نهاية محتـوى اللوحة الواحدة، وتبدأ اللوحـة الثانية بسلسلة أرقام أخرى تبدأ من "١" وهكذا يستمر الترقيم.

المحتويات

جذور الحرف العربي ومراحل تطوره	
أ.د مشلح بن كميخ المريخي	15
تاريخ تجديدات المسجد النبوي من العصر العباسي إلى نهاية العصر العثماني	
أ.د طلال بن محمد الشعبان	47
آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤-٨٥٩ق.م) الفاتح - الإداري - البناء	
د. سلطان أحمد الغامدي	71
تقنيات البناء في عمارة المنزل القديم بقلعة الأخدود (نجران)	
موضي بنت زايد الخالدي	107
غدارة صوان من مقتنيات المتحف الوطني	
أ.فاطمة ارفاعي العتيبي	133
نظرة عامة على برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار، جامعة الملك سعود وتطوره ومخرجاته ١٤٠٨-١٤٣٨هـ/١٩٨٨-٢٠١٧م	
أد. عبدالله عبدالسلام الحداد	149
From Mosques to Khānagāhā: Origins, Functions, Contents, Developments and Instituional Ideological Harmony.	
Mohammad Khaled Aljumaiaan	1

جذور الحرف العربي ومراحل تطوره

أ.د مشلح بن كميخ المريخي
أستاذ الكتابات الإسلامية قسم الآثار
كلية السياحة والآثار- جامعة الملك سعود

إن قضية اشتقاق الخط العربي من القلم النبطي قضية حسمت بشكل لا مجال للشك فيه منذ ثلاثينيات القرن العشرين. ولسنا في هذا المقام بصدد عرض أو مناقشة الآراء والنظريات المتعددة حول نشأة الخط العربي؛ سواء ما ورد منها عند المؤرخين العرب أو من سار على نهجهم، أو تلك التي ترجع الخط العربي إلى القلم السرياني أو قلم المسند، فلقد كفتنا الأبحاث والدراسات العلمية على مدى العقود الماضية الخوض في ذلك بما عرضته من أدلة تؤكد هذا الاتجاه، معتمدة في ذلك بشكل أساسي على تتبع أشكال الحروف ومقارنتها[1].

(١) انظر -على سبيل المثال- نامي، خليل يحيى، "أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام"، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، مج٣، ج١، ص ص١- ١١١؛
Abbott, N., The Rise of the North Arabic Script and its Kuranic Development, Chicago (1931), pp.1- 16; النقشبندي، ناصر "منشأ الخط العربي وتطوره لغاية الخلفاء الراشدين"، سومر، العدد ٣، ص ص١٢٩- ١٤٢؛ جمعة، إبراهيم، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة (١٩٦٩م)؛ العش، محمد أبوالفرج، "نشأة الخط العربي وتطوره: ١ - الخط العربي قبل الإسلام"، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج٢٣، ج١ و ٢، ص ص٥٥- ٨٢؛ الجبوري، سهيلة، أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، بغداد (١٩٧٧م)؛ المنجد، صلاح الدين، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الاموي، منشورات دار الكتاب الجديد، بيروت (١٩٧٩م)؛ البعلبكي، رمزي، الكتابة العربية السامية: دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، دار العلم للملايين، بيروت (١٩٨١م)؛ الفعر، محمد بن فهد، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، جدة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)؛
Healey, J., «Nabataean to Arabic: Calligraphy and Script development among thr pre- Islamic Arabs», Manuscripts of the Middle East 5, Leiden (1990- 1991), pp.41- 52; Gruendler, B., the development of the Arabic Scripts from the Nabatean era to the first Islamic century according to dated texts, Harvard Semitic Series 43, Atlanta (1993); Smith, R. & al- Moraekhi, M., The Arabic Papyri of the John Rylands Library of Manchster, vol. 87, No. 2 (1996), pp.8- 15.

غير أننا مع ذلك نرى، أن اقتصار تلك الدراسات على عدد محدود جدًا من النقوش، في فترة زمنية محدودة[١]، قد شكل عائقًا حال دون إدراك الجذور الأولى لأشكال الحروف العربية، والمراحل التي قطعتها إلى أن أصبحت مع مطلع القرن السادس الميلادي نظامًا كتابيًا عربيًا ذا خصوصية مستقلة[٢].

فنحن في واقع الأمر، لا نعرف -حتى الآن- عن الجذور الأولى للحرف العربي إلا النزر اليسير -بل إن ما نعرفه يمثل -في حقيقة الأمر- مرحلة متقدمة من مراحل تطور الخط العربي[٣]. الأمر الذي يمثل إشكالية تستحق الدراسة، وكشف الستار عنها. وفي سبيل ذلك وتوافقا مع السياق التاريخي لتطور أشكال الحرف العربي نجد أنه من الضروري العودة قليلاً إلى الوراء لاستقراء البرديات والنقوش النبطية العائدة لما قبل فترة النقوش العربية المعروفة التي تنحصر فيما بين أواسط القرن الثالث الميلادي وأواسط القرن السادس الميلادي، التي عوِّل عليها طويلاً في دراسة نشأة الخط العربي[٤].

لذلك فإن أي دراسة تهدف إلى معرفة الجذور الأولى للحرف العربي؛ ومن ثم تتبع مراحل تطوره، لن تخرج بالنتائج المرجوة منها ما لم تعتمد في ذلك على محورين رئيسيين: أحدهما الاعتماد بشكل كبير على دراسة أشكال الحروف (دراسة باليوغرافية). وثانيهما، التركيز على دراسة البرديات والنقوش النبطية التي تعود إلى ما قبل فترة النقوش العربية المعروفة، وبعبارة أخرى، العودة لتلك البرديات والنقوش النبطية التي تعود إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين على

(١) لا تتعدى هذه النقوش في مجملها عدد أصابع اليدين، وهي تنحصر فيما بين أواسط القرن الثالث الميلادي وأواسط القرن السادس الميلادي.

(٢) في مطلع هذا القرن أصبح الحرف العربي ذا هيئة مستقلة، وتخلص من هيئة الحروف النبطية، وذلك منذ تاريخ نقش زبد المؤرخ بسنة ٥١٢م.

(٣) إن النقوش العربية التي تعود للقرنين الثالث والرابع الميلاديين وما تلاهما من قرون، لا ترقى في حقيقة الأمر إلى النشأة الأولى، بل هي مرحلة من مراحل تطور الخط العربي.

(٤) وهي نقش أم الجمال الأول (٢٥٠- ٢٧٠م)، نقش رقوش (٢٦٧م)، نقش النمارة (٣٢٨م)، نقوش جبل رم (٣٠٠- ٣٥٠م)، نقشي سكاكا ١ و ٢ (ق ٥- ٦م)، نقش زبد (٥١٢م)، نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، نقش حران (٥٦٨م)، ونقش أم الجمال الثاني (ق ٦م).

وجـه الخصوص، ويرجع ذلك لسببـين: أولهما، بدهي، وهو أن الكتابة النبطية هي الأصـل الذي تفـرع منه قلمنا العربـي. وثانيهما توفر المادة العلميـة من البرديات والنقوش النبطية التي تعود إلى القرنين الأول والثـاني الميلاديين، التي هي قريبة الشبـه -إن لم تطابق- في أشكال وهيأت حروفها الكتابية حرفنا العربي[1]. فضلاً عن أن النقوش العربيـة العائدة للقرنين الثالث والرابع الميلاديين وما تلاهما، هي نقوش ثبتت عروبتها سواء من الناحية الخطية أو اللغوية. لذلك فإن السؤال الذي يفرض نفسه هنـا: هو، هل ظهرت هـذه الكتابات العربية المعروفـة التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين فجأة؟ أم أنها لا بد وأن تكون مسبوقة بإرهاصات أولية مهدت لهذا الظهور؟.

إن من ينعم النظر في البرديات والنقوش النبطية العائدة للقرنين الأول والثاني الميلاديـين، يتبـين له بوضـوح أن الكتابة النبطيـة -وهي المصدر الـذي أنبثق منه حرفنا العربي- بدأت تسير باتجاهين رئيسين وذلك منذ القرن الأول الميلادي وما تـلاه من قـرون: فبينما حافظ الاتجاه الأول على هيئة الحـروف النبطية المعروفة، التـي استمرت علـى هذه الشاكلة حتى القـرن الرابع الميلادي. بـدأ الاتجاه الثاني ينحى منحىً جديدًا يمثل نمطًا كتابيًا يتضمن أشكالاً محورة من الحروف النبطية تنبـيء بميلاد خط جديد؛ عرف فيمـا بعد بالخط العربـي. واستغرقت رحلة هذا الاتجـاه الثـاني قرابة خمسة قـرون إلى أن أصبـح نظامًا كتابيًـا مستقلاً في مطلع القرن السادس الميلادي[2].

علـى ضوء ذلـك واعتمادًا على دراسـة أشكال الحروف، فقـد أمدتنا برديات ونقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين ببواكير أشكال الحروف العربية. ويمكننا تصنيف الحروف العربية -حسب ظهورها- إلى مجموعات ثلاث:

(1) Cf. Naveh, J., Early History of the Alphabet: an Introduction to West Semitic Epigraphy and Development, Jerusalem (1987), pp.153- 162; Healey, J., «Nabataean to Arabic», M M E., vol. 5, pp.41- 52.

(٢) ابتداء من نقوش القرن الأول الميلادي وحتى نقش زبد (٥١٢م).

المجموعة الأولى:

تمثلها حروف عربية بدأت بالظهور منذ القرن الأول الميلادي، وحافظت على هيئتها العربية منذ ذلك الوقت إلى أن أصبحت الكتابة العربية في مطلع القرن السادس الميلادي ذات خصوصية مستقلة. وتمثل هذه المجموعة غالبية حروف الأبجدية العربية، وهي:- الباء، الجيم، الحاء، الخاء، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء النهائية، الواو، والياء.

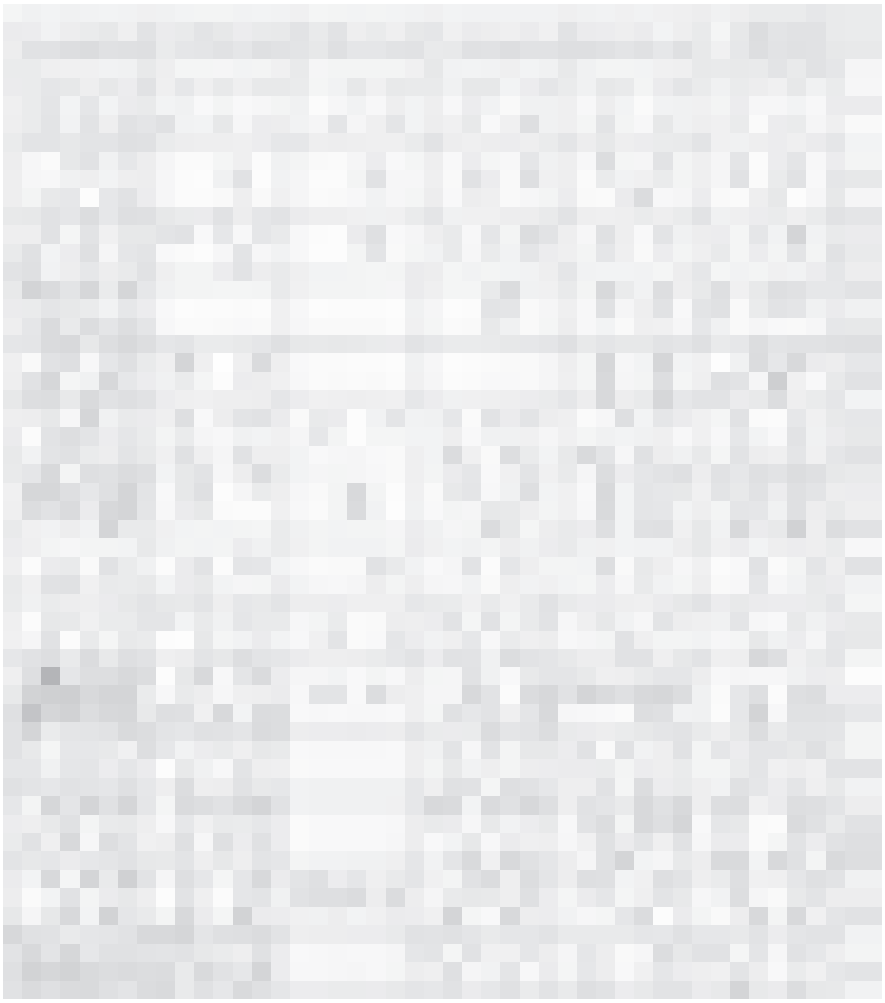

جدول يوضح حروف المجموعة الأولى

المجموعة الثانية:

تمثلهـا حروف عربية ظهرت جنبًا إلى جنب مـع مثيلاتها النبطية في نقوش القرنين الأول والثـاني الميلاديـين، إلا أنه لا يوجد لها شواهد في النقوش العربية المبكرة العائدة للقرنين الثالث والرابع الميلاديين -بل إن ما وجد منها يمثل الهيئة النبطية لهذه الحروف-، بيد أنها بهيئتها العربية المعروفة منذ بداية القرن الأول الميلادي عاودت الظهور في مطلع القـرن السادس الميلادي، ومن ثم استمرت بنفس الهيئـة في النقوش الإسلامية المبكرة، وهي: الألف، السين والشين.

جدول يوضح حروف المجموعة الثانية

المجموعة الثالثة:

تمثلها حروف حافظت على هيئتها النبطية سواء في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين أو حتى في النقوش العربية العائدة للقرنين الثالث والرابع الميلاديين. ولم تتحور وتتطور للهيئة العربيـة الصرفة إلا في مطلع القرن السادس الميلادي، وهي: "التاء، الدال، الذال، الراء، الزاي، الهاء المبتدئة والمتوسطة.

جدول يوضح حروف المجموعة الثالثة

ويمكننا أن نضيف لهذه المجموعات الثلاث، حرف أفرد لوحده، وهو حرف اللام- الألف، حيث لا يمكن إدراجه في أي من المجموعات المشار إليها آنفًا. فهو كما يتضح من اسمه وشكله حرف مركب، ولم توجد له شواهد في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين، وأول ظهور له بهيئته العربية الصرفة تعود لنقش النمارة (٣٢٨م)؛ بيد أن هناك نقش يعود في تاريخه إلى سنة ٢٦٥م وردت فيه اللام- الألف بهيئة فريدة[١]، وهي عبارة عن تركيب حرف الألف على اللام دون أن يلتقيان في القاعدة (من أسفل). ولعل هذه الهيئة تمثل الإرهاصة الأولى لشكل اللام- ألف العربية.

جدول يوضح حرف اللام ألف

تقوم هذه الدراسة على تحليل العناصر والخصائص الخطية لعدد من البرديات والنقوش النبطية التي تعود للقرنين الأول والثاني الميلاديين، موصولة بأشكال حروف النقوش العربية المبكرة التي تعود في تاريخها إلى ما بين أواسط القرن الثالث الميلادي وأواسط القرن السادس الميلادي، فضلاً عن نقوش القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. مقرونة بالتعليقات والمقارنات، ومزودة بجداول توضيحية لأشكال الحروف؛ منها جداول تمثل الحروف حسب تقسيم المجموعات الموضحة آنفًا، ومنها ما يختص بكل حرف على حده متتبعًا نشأته منذ القرن الأول الميلادي، ومرورًا بمراحل تطوره في القرون الخمسة الميلادية التالية وحتى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي.

(1) Cf. Littmann, B S O A 15 (1953), p.16, no. 46a and pl. v.

فيما يلي دراسة وصفية تحليلية مقارنة للحروف العربية، مرتبة حسب تقسيم المجموعات الآنفة الذكر:-

المجموعة الأولى:

حرف الباء

وردت الباء مبتدئة ومتوسطة ونهائية بهيئتها العربية الصرفة منذ القرنين الأول والثاني الميلاديين[١]، وحافظت على هذه الهيئة العربية في النقوش العربية التي تعود للقرنين الثالث والرابع الميلاديين[٢]، واستمرت بنفس الهيئة العربية في النقوش العربية التي تعود للقرنين الخامس والسادس الميلاديين[٣]، ومن ثم أصبحت هي السمة الغالبة في النقوش العربية الإسلامية المبكرة[٤].

(1) Cf. Starcky, RB 61 (1954), pp.161- 81, pls. i-iii; Polotsky, EI 8 (1967), pl. 10 (transliteration p.48); Naveh, IEJ 29 (1979), p.115 fig. 1, col.7; Savignac & Horsfield, RB 44 (1935), pp.265 ff. pl.x.

(٢) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)، ونقش النمارة (٣٢٨م).

(٣) انظر نقشي سكاكا ١ و ٢؛ المعيقل، الذييب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، ص ص٢٢٣-٢٤١؛ وانظر نقش زبد (٥١٢م)، ونقش جبل أسيس (٥٢٨م) ونقش حران (٥٦٨م).

(٤) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية (٢٢هـ)، نقش اسوان (٣١هـ)، نقش الباثا (٤٠هـ)؛ نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ نقش سد معاوية (٥٨هـ) وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

حرف الجيم

بـدأت شواهـد الجيـم العربيـة في الظهـور في نقوش القرنـين الأول والثاني الميلاديين[١]، ومن ثم استمـرت في النقوش العربية المبكرة العائدة للقرنين الثالث والرابـع الميلاديين[٢]. كما يوجد لها شواهد في نقوش القرنين الخامس والسادس الميلاديـين[٣]، ومن ثـم أصبحت هي السمة الغالبة لحـرف الجيم في نقوش القرن الأول الهجري وما تلاه من قرون إسلامية مبكرة[٤].

حرف الحاء والخاء

(1) Cf. JSI, no. 1; no. 34; Starcky, RB 61 (1954), pp.161- 81, pls, i-iii; Polotsky, EI 8 (1967), pl. 10 (transliteration p.48); Naveh, IEJ 29 (1979), p.115, fig 1, col. 7 (cf. BASOR 198) (1970), p.35.

(٢) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)؛ نقش أم الجمال الأول (٢٥٠- ٢٧٠م)؛ ونقش النمارة (٣٢٨م).

(٣) نقشي سكاكا ١ و ٢ (ق ٥- ٦م)؛ نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل اسيس (٥٢٨م)؛ نقش حران (٥٦٨م).

(٤) انظـر -على سبيل المثـال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش اسوان (٣١هـ)، نقش الباثا (٤٠هـ)؛ نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ نقش سد معاوية (٥٨هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

ويوجـد لهما شواهد عربية منذ القرن الأول الميلادي جنبًا إلى جنب مع الهيئة النبطية[١]، كما وضحت معالمها العربية في نقوش القرن الثالث الميلادي[٢]. إلا أنها في النقوش العربية المبكرة العائـدة للقرن الرابع الميـلادي حافظت على الهيئتين العربية والنبطية[٣]، بيد أن نقوش القرن الخامس الميلادي لا توجد لها إلا الشواهد النبطيـة[٤]، بينما في القرن السادس الميلادي وما تلاه أصبحت الهيئة العربية هي السمة الوحيدة التي تمثل هذين الحرفين[٥].

حرف الصاد / الضاد

تمثلـت الصاد العربيـة في النقوش النبطية العائدة للقـرون الأربعة الأولى[٦]، بيـد أنه لا يوجد لهـا شواهد –حتى الآن– مـن نقوش القرنين الخامـس والسادس

(1) Cf. Starcky, RB 61 (1954), pp.161- 81, pls, i-iii; Polotsky, EI 8 (1967), pl. 10 (transliteration p.48).

(٢) انظر نقش رقوش المؤرخ بسنة ٢٦٧م.

(٣) للهيئـة النبطية انظر نقش النمـارة (٣٢٨م)؛ أما ظهورها بالهيئة العربيـة فيتضح ذلك في نقش نبطي يعود في تاريخه إلى سنة ٣٠٦م، انظر JS II, no386, pls. lxxi, cxxi.

(٤) انظر نقشي سكاكا ١و ٢ (المعيقل، الذيب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، ص ص٢٢٣– ٢٤١).

(٥) انظر نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، ونقش حران (٥٦٨م)؛ والنقوش الإسلامية المبكرة.

(6) Cf. Milik, Syria 35 (1958), p.244, fig. 2 pl.xixb; JS I, no, pl.xxviii.

الميلاديين[١]. واتضحت هيئتها العربية الصرفة في نقوش القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي[٢].

حرف الطاء والظاء

برزت هيئة الطاء/ الظاء العربية منذ القرن الأول الميلادي[٣]، بيد أنه لا يوجد لها شواهد في النقوش العربية المبكرة التي تعود للقرنين الرابع والخامس الميلاديين[٤]، إلا أنها حافظت على هذه الهيئة العربية في نقوش القرن السادس الميلادي[٥]، ومن ثم في نقوش القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي[٦].

(١) انظر نقشي سكاكا ١ و ٢ (ق ٥- ٦م)؛ نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، نقش حران (٥٦٨م).

(٢) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية (٢٢هـ)، نقش الباثا (٤٠هـ) وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

(3) Cf. Polotsky, E I 8 (1967), pl. 10 (tranliteration p. 48); Naveh, I E J 29 (1979), p.115, fig. 1, col.7 (cf. BASOR 198) (1970), p.35.

(٤) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)؛ نقش أم الجمال الأول (٢٥٠- ٢٧٠م)؛ ونقش النمارة (٣٢٨م).

(٥) انظر نقش حران (٥٦٨م).

(٦) انظر -على سبيل المثال- بردية أهناسية (٢٢هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

حرف العين والغين

وضحت معالمهما العربية منذ القرنين الأول والثاني الميلاديين[١]، واستمرا بنفس الهيئة العربية في النقوش العربية المبكرة -من أواسط القرن الثالث الميلادي وحتى أواسط القرن السادس الميلادي-[٢]، ومن ثم احتفظا بنفس الهيئة في النقوش الإسلامية المبكرة[٣].

حرف الفاء والقاف

(1) Cf. Starcky, R B 61, pp.161- 81, pls, i-iii; Polotsky, E I 8, pl. 10 (transliteration p.48); Savignac & Horsfield, R B 44, p.265 ff.pl.x.

(٢) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)، نقش النمارة (٣٢٨م)، نقش سكاكا ٢ (ق ٥- ٦م)؛ نقش حران (٥٦٨م).

(٣) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)؛ نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية.

بـرزا في نقوش القرنـين الأول والثاني الميلاديين بالهيئـة العربية الصرفة[١]، واستمـرا بنفس الهيئة العربية المبكـرة[٢]، وأصبحت هذه الهيئة هي السمة الغالبة لهذين الحرفين في النقوش الإسلامية المبكرة[٣].

حرف الكاف

ظهرت هيئته العربية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين[٤]، واستمرت نفس الهيئة في النقوش العربية العائـدة للقرنين الثالث والرابع الميلاديين[٥]، إلا أن استطالته أصبحت أفقيـة بدلا مما كانت رأسية في النقوش العربية التي تعود للقرن السادس الميلادي[٦]. ومن ثم أصبحت هي السمة الغالبة لهذا الحرف في النقوش الإسلامية المبكرة[٧].

(1) Cf. J S I, nos. 1; nos. 1& 34; Starcky, R B 61, pp.161- 81, pls, i-iii; Polotsky, E I 8, pl. 10 (transliteration p.48); Savignac & Horsfield, R B 44, pp.265 ff.pl.x.

(٢) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)؛ نقش أم الجمال الأول (٢٥٠– ٢٧٠م)؛ نقش النمارة (٣٢٨م)؛ نقش سكاكا ٢ (ق ٥– ٦)؛ نقش حران (٥٦٨م).

(٣) انظـر –على سبيل المثال– بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

(4) Cf. Milik, Syria 35, p.244, fig. 2 pl.xixb; Sis II, no. 964, pl.xxv; Euting, Sinaitische Inschriften, no, 463, pl.26; J S I, no. 34; Starcky, RB 61, pp.161- 81, pls, i-iii.

(٥) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)، ونقش النمارة (٣٢٨م).

(٦) انظر نقش أم الجمال الثاني (ق ٦م)؛ ونقش جبل أسيس (٥٢٨م).

(٧) انظـر –على سبيل المثـال– بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

حرف اللام

ورد بهيئتـه العربية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين[١]، وحافظ على نفس الهيئة العربية في النقوش التي تعود للقرنين الثالث والرابع الميلاديين[٢]، واستمر بنفس هيئته العربية في النقوش العربية العائدة للقرنين الخامس والسادس الميلاديين[٣]، ومن ثم أصبحت هي السمة الغالبة لهيئة اللام في النقوش الإسلامية[٤].

حرف الميم

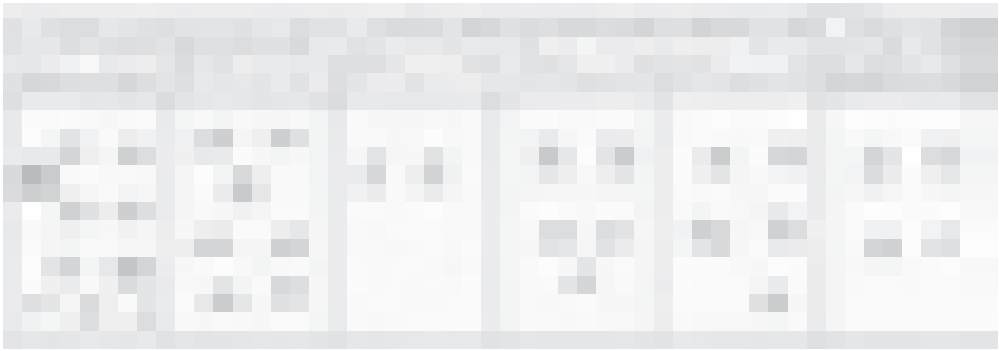

(1) Cf. JSI, nos. 1& 34; Starcky, RB 61, pp.161- 81, pls, i-iii; Savignac & Horsfield, RB 44, p.265 ff.pl.x; Euting, Sinaitische Inschriften, no, 463, pl.26.

(٢) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)، ونقش النمارة (٣٢٨م).

(٣) انظر نقشي سكاكا ١ و ٢ (ق ٥- ٦م)؛ نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، نقش حران (٥٦٨م).

(٤) انظـر -على سبيل المثـال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

ورد بهيئته العربية الصرفة في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين[١]، واستمر بنفس الهيئة في نقوش القرنين الثالث والرابع الميلاديين[٢]، كما حافظ على نفس هيئته العربية في النقوش العربية التي تعود للقرنين الخامس والسادس الميلاديين[٣]، ومن ثم أصبحت هي السمة الغالبة لهيئة الميم في النقوش الإسلامية المبكرة[٤].

حرف النون

ورد بهيئته العربية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين[٥]، وحافظ على نفس الهيئة في النقوش العربية التي تعود للقرون الثالث والرابع والخامس والسادس الميلادية[٦]، فضلاً عن النقوش الإسلامية المبكرة[٧].

(1) Cf. Polotsky, EI 8, pl. 10 (transliteration p.48); Naveh, IEJ 29, p.115, fig 1, col. 7.

(٢) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)، ونقش النمارة (٣٢٨م)؛ وانظر كذلك
Negev, IEJ 13, p.69, no. 9, pl. 10A; Milik and Starcky in Winnett & Reed, Ancient Records from North Arabi, pp.14546-, no. 17, pl. 26; Euting, Nabataische Inschriften, pp.71- 72, no, 30.

(٣) انظر نقش سكاكا ٢ (ق ٥- ٦م)، نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، ونقش حران (٥٦٨م).

(٤) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

(5) Cf. JSI, no. 1; nos. 1& 34; Starcky, RB 61, pp.161- 81, pls, i-iii; Polotsky, EI 8, pl. 10 (transliteration p.48); Naveh, IEJ 29, p.115, fig 1, col. 7; Savignac & Horsfield, RB 44, p.265 ff.pl.x.

(٦) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)؛ نقش أم الجمال الأول (٢٥٠- ٢٧٠م)؛ ونقش النمارة (٣٢٨م)، نقشي سكاكا ١ و ٢ (ق ٥- ٦م)؛ نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل أسيس (٥٢٨م)؛ نقش حران (٥٦٨م).

(٧) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

حرف الهاء النهائية

وردت الهاء النهائية بهيئتها العربية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين[١]، وحافظت على هيئتها العربية في النقوش العربية التي تعود للقرنين الثالث والرابع الميلاديين[٢]، فضلاً عن النقوش العربية التي تعود للقرن السادس الميلادي[٣]. ومن ثم أصبحت هذه الهيئة هي السمة الغالبة للهاء النهائية في النقوش الإسلامية[٤].

حرف الواو

(1) Cf. Polotsky, EI 8, pl. 10 (transliteration p.48); Naveh, IEJ 29, p.115, fig 1, col. 7.

(٢) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)، ونقش النمارة (٣٢٨م).

(٣) انظر نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل أسيس (٥٢٨م).

(٤) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

ظهـرت الواو بهيئتهـا العربية في نقوش القرنين الأول والثـاني الميلاديين[١]، واستمـرت بهذه الهيئة العربيـة في النقوش العربية طيلة الأربعة قـرون التالية[٢]. ومن ثم أصبحت تمثل الواو العربية في النقوش الإسلامية[٣].

حرف الياء

ورد بهيئته العربية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين[٤]، واستمر بنفس الهيئة في النقوش العربية التي تعود للقرنـين الثالث والرابع الميلاديين[٥]، فضلاً عن احتفاظه بنفس الهيئة في النقوش العربية التي تعود للقرنين الخامس والسادس الميلاديين[٦]. وقد أصبحت هذه الهيئة تمثل السمة الغالبة لحرف الياء في النقوش الإسلامية المبكرة[٧].

(1) Cf. JSI, nos. 1& 34; Starcky, RB 61, pp.161-81, pls, i-iii; Polotsky, EI 8, pl. 10 (transliteration p.48); Naveh, IEJ 29, p.115, fig 1, col. 7; Savignac & Horsfield, RB 44, p.265 ff.pl.x.

(٢) انظـر نقش رقوش (٢٦٧م)؛ نقش أم الجمال الأول (٢٥٠- ٢٧٠م)؛ ونقش النمارة (٣٢٨م)؛ نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل أسيس (٥٢٨م)؛ نقش حران (٥٦٨م).

(٣) انظـر -على سبيل المثـال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنـة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاويـة (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها مـن النقوش الإسلامية المبكرة.

(4) Cf. JSI, nos. 1& 34; Starcky, RB 61, pp.161-81, pls, i-iii; Polotsky, EI 8, pl. 10 (transliteration p.48); Naveh, IEJ 29, p.115, fig 1, col. 7; Savignac & Horsfield, RB 44, p.265 ff.pl.x.

(٥) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)؛ نقش أم الجمال الأول (٢٥٠- ٢٧٠م)، ونقش النمارة (٣٢٨م).

(٦) نقش سكاكا ٢ (ق ٥- ٦م)، نقش زبد (٥١٢م)، نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، نقش حران (٥٦٨م).

(٧) انظـر -على سبيل المثـال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنـة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاويـة (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها مـن النقوش الإسلامية المبكرة.

المجموعة الثانية:

حرف الألف

وردت الألف بهيئتها العربية الصرفة جنبًا إلى جنب مع مثيلتها النبطية في النقوش النبطية التي تعود للقرنين الأول والثاني الميلاديين؛ حيث وردت في نقش يعود في تاريخه إلى سنة ٩٠- ١٠٠م؛ وآخر كتب سنة ١٢٥م[١]. بيد أنها احتفظت بشكلها النبطي في النقوش العربية المبكرة التي تعود للقرنين الثالث والرابع الميلاديين[٢]، إلا أنها عاودت الظهور بهيئتها العربية في النقوش العربية التي تعود للقرنين الخامس والسادس الميلاديين متخلصة من الهيئة النبطية[٣]. ومن ثم استمرت بهذه الهيئة العربية في نقوش القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وما تلاه من قرون إسلامية مبكرة[٤].

(1) Polostky, El 8,pl.10; Starcky, RB 61, pp.161- 181, pls. i-iii, Healey, "Nabataean to Arabic", MME, pp.50- 51.

(٢) لنقش رقوش المؤرخ بسنة ٢٦٧م انظر المريخي، "نقش رقوش بالحجر (مدائن صالح) المؤرخ بسنة ٢٦٧م، رؤية جديدة"، دورية جمعية التاريخ والآثار الخليجية، العدد الأول، ص ص٣١- ٧١، ولنقش النمارة المؤرخ بسنة ٣٢٨م انظر Dussaud, R. Macler, F. Repport sur une mision scientifique dans les regions desertiques de la Syrie Moyenne, (1902), pp.716- 724, with facsimiles.

(٣) انظر نقشي سكاكا المؤرخين ما بين القرن الخامس والسادس الميلاديين (المعيقل، الذييب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، ص ص٢٢٣- ٢٤١. علمًا أنه منذ بداية القرن السادس الميلادي وتحديدًا في نقش زبد المؤرخ بسنة ٥١٢م انفردت الألف بهيئتها العربية الصرفة متخلصة من الهيئة النبطية. واستمرت في نقش جبل أسيس المؤرخ بسنة ٥٢٨م وكذلك في نقش حران المؤرخ بسنة ٥٦٨م (انظر العش، نشأة الخط العربي وتطوره: ١- الخط العربي قبل الإسلام"، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد الثالث والعشرون، الجزءان الأول والثاني (١٩٧٣م)، ص ص٦٩- ٧٥.

(٤) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية المؤرخة بسنة (٢٢هـ)؛ نقش أسوان المؤرخ بسنة (٣١هـ)؛ نقش الباثا المؤرخ بسنة (٤٠هـ)، نقش الخشنة المؤرخ بسنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية المؤرخ بسنة (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض المؤرخ بسنة (٦٤هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

اللافت للنظر أن الألف بهيئتها "المستقيمة" و "ذات الخطاف في أسفل الجانب الأيمن" والتي ترد في النقوش الإسلامية التي ترجع في تاريخها إلى القرن الأول الهجري وما تلاه من قرون إسلامية مبكرة قد وردت بنفس الهيئتين في النقوش النبطية العائدة للقرنين الأول والثاني الميلاديين[١].

حرفا السين / الشين

وردا بهيئتهما العربية الصرفة جنبًا إلى جنب مع مثيلتهما النبطيين في النقوش النبطية التي تعود إلى للقرنين الأول والثاني الميلاديين، حيث وردا بهذه الهيئة في نقش يعود في تاريخه إلى سنة ٩٠- ١٠٠م؛ وآخر مؤرخ بسنة ١٢٥م[٢]. غير أن الهيئة النبطية استمرت في النقوش العربية المبكرة التي تعود في تاريخها للقرنين الثالث والرابع الميلاديين[٣]، ولم تعد بهيئتها العربية الصرفة إلا في نقوش القرنين الخامس والسادس الميلاديين[٤]، ومن ثم استمرت بنفس هيئتها العربية في نقوش القرن الأول الهجري وما تلاه من قرون إسلامية مبكرة[٥]

(١) لمزيد من التفاصيل فيما يخص تأصيل الألف بهيئتها "المستقيمة" و"ذات الخطاف" انظر المريخي، نقش رقوش الحجر (مدائن صالح) المؤرخ بسنة ٢٦٧م: رؤية جديدة"، دورية جميعة التاريخ والآثار الخليجية، العدد الأول، ص ص٣١- ٧١.

(2) Cf. Polotsky, EI 8, pl. 10; Naveh, IEJ 29, p.115, fig. 1, Healey, "Nabataean to Arabic", MME 5, pp.50- 51.

(٣) انظر نقش رقوش (٢٦٧م)، نقش النمارة (٣٢٨م).

(٤) انظر نقشي سكاكا ١ و ٢ (ق ٥- ٦م)؛ نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، نقش حران (٥٦٨م).

(٥) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ) وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

المجموعة الثالثة:

حرفا التاء والثاء

بقيا على الهيئة النبطية التقليدية طيلة الأربعة قرون الميلادية الأولى[١].

ولم يتطورا إلى الشكل العربي إلا في نقوش القرنين الخامس والسادس الميلاديين[٢]، ومن ثم حافظا على الهيئة العربية الصرفة في النقوش الإسلامية المبكرة[٣].

(١) ترد التاء والثاء في حالة الابتداء أو التوسط بالهيئة التالية " "، كما تردا في نهاية الكلمة بالهيئة التالية " "، هذا وقد وردتا بهيئتهما النبطية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين، وكذلك في النقوش العربية المبكرة التي تعود في تاريخها إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين (انظر نقش رقوش ٢٦٧م، ونقش النمارة ٣٢٨م).

(٢) انظر نقشي سكاكا ١ و ٢ (ق ٥- ٦م)؛ نقش زبد (٥١٢م)؛ نقش جبل أسيس (٥٢٨م)؛ نقش حران (٥٦٨م).

(٣) انظر نقوش القرن الأول الهجري المؤرخة، مثل بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)؛ ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

حرفا الدال والذال

وردا على الهيئة النبطية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين، كما في النقوش العربية المبكرة العائدة للقرنين الثالث والرابع الميلاديين[١]، ولم يتطورا للهيئة العربية إلا في القرن الخامس الميلادي[٢]، ومن ثم استمرا بهيئتهما العربية الصرفة في النقوش العربية التي تعود للقرن السادس الميلادي[٣]، وأصبحت هذه الهيئة لهما هي السمة الغالبة في النقوش الإسلامية المبكرة[٤].

حرفا الراء

(١) انظر نقش رقوش المؤرخ بسنة (٢٦٧م)، ونقش النمارة المؤخ بسنة(٣٢٨م).
(٢) المعيقل، الذييب،الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، ص٢٣١.
(٣) انظر نقش زبد (٥١٢م)، نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، ونقش حران (٥٦٨م).
(٤) انظر –على سبيل المثال– بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

يسري على حرف الراء ما قيل عن حرفي الدال والذال طيلة القرون الأربعة الميلادية الأولى؛ حيث إنه يرد بنفس الهيئة[١]، ولم يتطور إلى هيئته العربية الصرفة إلا في القرن الخامس الميلادي[٢]، ووضحت معالمه أكثر في النقوش العربية التي تعود للقرن السادس الميلادي[٣]، ومن ثم استمر في النقوش الإسلامية بنفس الهيئة[٤].

حرف الزاي

ورد بهيئته النبطية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين، كما احتفظ بنفس الهيئة في النقوش العربية المبكرة التي تعود للقرنين الثالث والرابع الميلاديين[٥]، إلا أنه لا توجد شواهد له في النقوش العربية التي تعود للقرنين الخامس والسادس الميلاديين[٦]، بيد أنه يمكننا أن نسلم بأنه أخذ نفس هيئة الراء في النقوش التي

(١) أفرد حرف الراء هنا لأنه منذ القرن الخامس الميلادي لم يعد شبيهًا لحرفي الدال والذال كما هو الحال في النقوش النبطية والعربية المبكرة العائدة للقرنين الثالث والرابع الميلاديين، فقد استقل وأصبح هو وحرف الزاي منذ هذه الفترة يردان بهيئة واحدة.

(٢) المعيقل، الذييب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، ص٢٣٥.

(٣) انظر نقش زبد (٥١٢م)، نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، ونقش حران (٥٦٨م).

(٤) انظر بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)؛ نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)؛ وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

(٥) انظر نقش رقوش المؤرخ بسنة (٢٦٧م)، ونقش النمارة المؤرخ بسنة (٣٢٨م).

(٦) ورد حرف الراء في نقوش سكاكا (ق ٥-٦م)، ولعله من الجائز أن نعتبر هذه الهيئة تمثل حرفي الراء والزاي؛ وذلك استنادًا إلى أن هيئة هذين الحرفين واحدة في النقوش الإسلامية المبكرة.

تعود للقرن السادس الميلادي[١].

حرف الهاء المبتدئة والمتوسطة

احتفظ بالهيئة النبطية في النقوش النبطية التي تعود للقرنين الأول والثاني الميلاديين، وبقي بنفس الهيئة في النقوش العربية المبكرة التي تعود للقرنين الثالث والرابع الميلاديين في حال ورودها مبتدئة أو متوسطة[٢] غير أنه لم ترد له شواهد في نقوش سكاكا (ق ٥- ٦م) لذا لا يمكننا الحكم بشأنه[٣]، بيد أنه تحور للهيئة العربية في النقوش العربية العائدة للقرن السادس الميلادي[٤]، ومن ثم استمر في النقوش الإسلامية المبكرة بنفس الهيئة[٥].

(١) تجدر الإشارة إلى أن نقوش السادس الميلادي بدأت بها الحروف تأخذ صبغتها العربية الصرفة، وبما أن حرف الزاي وحرف الراء في النقوش الإسلامية تمثل نفس الهيئة فإنه يمكننا أن نقرر بشيء من الاطمئنان أن نقش زبد المؤرخ بسنة ٥١٢م يمكن أن تمثل هيئة حرف الراء به هيئة الزاي أيضًا.

(٢) انظر نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين كما هو موضح في الجداول المرفقة؛ وانظر كذلك نقش رقوش المؤرخ بسنة (٢٦٧م)، والنمارة (٣٢٨م).

(٣) المعيقل، الذييب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، ص ص١٤١- ٢٢٣.

(٤) انظر نقش زبد (٥١٢م)، نقش جبل أسيس (٥٢٨م)، ونقش حران (٥٦٨م).

(٥) انظر -على سبيل المثال- بردية اهناسية (٢٢هـ)؛ نقش أسوان (٣١هـ)، نقش الباثا (٤٠هـ)، نقش الخشنة (٥٢هـ)؛ ونقش سد معاوية (٥٨هـ)، وغيرها من النقوش الإسلامية المبكرة.

فضـلاً عن المجموعات الثلاث -المشـار إليها- يجدر أن نشير إلى حرف أفراد لوحده، وهو حـرف اللام-ألف، حيث لا يمكن إدراجه في أي من المجموعات المشار إليهـا آنفًـا، وهو حرف فريد، فهو مركـب كما يتضح من اسمـه وهيئته، ولم توجد لـه شواهد في نقوش القرنـين الأول والثاني الميلاديين، حيث إن أول ظهور له يمكن ملاحظتـه في نقش النمارة (٣٢٨م)، بيد أن هنـاك نقش يعود في تاريخه إلى سنة ٢٦٥م ورد فيـه الـلام- ألف بهيئـة فريدة[1]، وهي عبارة عـن تركيب حرف الألف على حرف اللام دون أن يلتقيا من الأسفل، ولعل هذه الهيئة تمثل الإرهاصة الأولى لشكل اللام- ألف العربية.

حرف اللام- ألف

نخلص مما سبـق إلى أن الكتابة النبطية سارت -منذ القـرن الأول الميلادي حتـى نهايـة القرن الرابـع الميلادي في اتجاهـين ونمطين كتابيـين مختلفين. الأول منهمـا تمثل في نمط كتابي حافظ على هيئة الحـروف النبطية التقليدية المعروفة، واستمـر حتى نهاية القرن الرابع الميلادي. وثانيهمـا تمثل في نمط كتابي جمع بين الأشـكال النبطية لبعض الحروف وأشـكال جديدة تمثل -في حقيقة الأمر- بواكير أشكال الحـروف العربية، بدأت بالظهور منذ القرن الأول الميلادي. ويمكننا -بناء علـى الدراسـة الوصفيـة التحليلية المقارنة لأشـكال الحروف العربيـة- تصنيفها

(1) Cf. Littmann, B S O A 15 (1953), p.16, no. 46a and pl. v.

حسب ظهورها إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى منها تمثل غالبية الحروف الهجائية العربية. وقد وضحت معالم هذه الحروف العربية منذ بداية القرن الأول الميلادي، واستمرت بنفس هيئتها العربية في النقوش العربية التي تعود للقرنين الثالث والرابع الميلاديين وما تلاهما من قرون، فضلاً عن استمراريتها بنفس الهيئة في النقوش الإسلامية المبكرة. أما المجموعة الثانية، فتمثلها حروف الألف والسين والشين، وقد وجدت شواهدها العربية في برديات ونقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين جنبًا إلى جنب مع مثيلاتها النبطية، بيد أن النقوش العربية العائدة للقرنين الثالث والرابع الميلاديين احتفظت بالهيئة النبطية لهذه الحروف، ولم تعاود الظهور بهيئتها العربية إلا في مطلع القرن السادس الميلادي. بينما تمثلت المجموعة الثالثة في حروف حافظت على هيئتها النبطية في نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين؛ فضلاً عن النقوش العربية العائدة للقرنين الثالث والرابع الميلاديين، ولم تتحور وتتطور لهيئتها العربية الصرفة إلا في مطلع القرن السادس الميلادي.

كما نخلص مما تقدم إلى أنه يمكننا القول -بكثير من الأطمئنان- إن الإرهاصات الأولى للخط العربي تمثلت في البرديات والنقوش النبطية التي تعود للقرنين الأول والثاني الميلاديين؛ حيث تمثلت بهما سمات ومعالم جذور الحروف العربية. إن وجود هذه الأشكال المبكرة للحرف العربي منذ القرن الأول الميلادي يقودنا إلى نقطتين هامتين: إحداهما تمكيننا من معرفة جذور الحرف العربي، وهذا بدوره دليل قاطع على أن حرفنا العربي قد أنبثق من القلم النبطي منذ بداية القرن الأول الميلادي إن لم يكن قبل ذلك. والأخرى أن كافة النقوش العربية المبكرة التي سبق وأن عوِّل عليها في دراسة نشأة الخط العربي؛ لا تمثل -في حقيقة الأمر- النشأة الأولى بقدر ما هي مرحلة من مراحل تطور الكتابة العربية؛ التي استقام عودها واستقلت استقلالاً تامًا- كما سبقت الإشارة- في مطلع القرن السادس الميلادي.

المراجع العربية والأجنبية

أولاً: المراجع العربية:

أحمد، يوسف (١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م)

الخط الكوفي، الطبعة الأولى، مطبعة حجازي، الرسالة الأولى.

البعلبكي، رمزي (١٩٨١م)

الكتابة العربية السامية: دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، دار العلم للملايين، بيروت.

الجبوري، سهيلة ياسين (١٩٦٧م)

- الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق، مطبعة المثنى، بغداد.

- (١٩٧٧م) أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، بغداد.

جمعة، إبراهيم (١٩٦٩م)

- دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأول للهجرة، القاهرة.

- قصة الكتابة العربية، دار المعارف، القاهرة.

ذنون، يوسف (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)

"قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة"، المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع (عدد خاص: في الخط العربي).

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)

- نقوش الحجر النبطية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

- (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) دراسة تحليلة لنقوش نبطية قديمة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض

- (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) "دراسة تحليلية جديدة لنقوش نبطية من موقع القلعة بالجوف بالمملكة العربية السعودية"، مجلة جامعة الملك سعود، مج٦، الآداب (١)، الرياض، ص ص١٥١- ١٩٤.

راشد، سيد فرج (١٩٨٥م)
"الكتابات العربية القديمة"، عالم الفكر، مج٥، العدد الرابع، يناير، فبراير، مارس، ص ص٢١٩- ٢٥٤.

الرسام، عز الدين الصندوق (١٩٥٥م)
"حجر حفنة الأبيض"، سومر، العدد ١١، ص ص٢١٣- ٢١٧.

شبوح، إبراهيم (١٩٧٠م)
خط البرديات العربية المصرية المبكرة ومدى تأثرها بحركات إصلاح الكتابة، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ص ص١٥- ٤٧.

شرف الدين، أحمد حسين (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)
"النقوش الإسلامية بدرب زبيدة"، أطلال، العدد الأول، ص ص٧٣- ٧٤.

عباده، عبدالفتاح (١٩١٥م)
انتشار الخط العربي، القاهرة.

العش، محمد أبو الفرج (١٩٧٣م)
"نشأة الخط العربي وتطوره: ١ - الخط العربي قبل الإسلام"، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج٢٣، ج١و ٢، ص ص٥٥- ٨٢.

عفيفي، فوزي سالم (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)
نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية، الكويت.

فخر الدين بك، محمد (١٩٤١م)
تاريخ الخط العربي، القاهرة.

الفعر، محمد فهد (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)
تطـور الكتابـات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسـلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، جدة.

الكردي، محمد طاهر (١٩٣٩م)
تاريخ الخط العربي وآدابه، القاهرة.

المريخي، مشلح (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)
"نقش رقوش بالحجر (مدائـن صالح): رؤية جديـدة"، دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، ص ص٣١- ٧١..

المعيقل، خليل إبراهيم (١٤١٤هـ)
"نقشـان عربيان مبكـران من سكاكا"، الدارة، العدد الثالـث، السنة التاسعة عشر، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، ص ص١١٢- ١٣٢.

المعيقل، خليل بن إبراهيم؛ الذييب، سليمان بن عبدالرحمن (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)
الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، الطبعة الأولى، الرياض.

المنجد، صلاح الدين (١٩٧٩م)
دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، منشورات دار الكتاب الجديد، بيروت.

نامي، خليل يحيى (١٩٣٥م)
- "أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام"، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، مج٣، ج١، ص ص١- ١١٠.

- (١٩٨٠م) دليل تطورالخط العربي، طبع اليونسكو، القاهرة.

النقشبندي، أسامة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)
"مبـدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القـرن الأول الهجري"، المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع (عدد خاص: في الخط العربي).

النقشبندي، ناصر (١٩٤٧م)
"منشـأ الخط العربي وتطوره لغاية الخلفـاء الراشدين" سومر، العدد ٣، ص ص١٢٩- ١٤٢.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Abbott, N., (1939)
The rise of the North Arabic Script and its Kur anic development, with full description of the Kurán and manuscripts in the Oriental Institute, University of Chicago Oriental Institute Publications 50 Chicago.

Beeston, A. F. L., With Johnston, T. M., Sergeant, R. B., and Smith G. R., (1983)
"The Arabic Script", the Cambridge History of Arabic Literature, Atabic Literature to the end of the Umayyad period, Cambridge.

Bellamy, J. A., (1985)
"A. New Reading of the Namarah Inscription", Journal of the American Oriental Society, CV, pp.31- 48.

Cantineau, J., (1978)
Le Nabuteen, Librairie Ernest Leroux, Paris.

Clermont- Ganneau, C., (1908)
"L inscription nabateenne de Hegr (Le Hegr), CIS II no. 271a", Revue Biblique 5, pp.533- 537.

Dussaud, R. and Macler, F. (1902)
Repport sur une mision scientifique dans les regions desertiques de la Syrie Moyenne, with facsimiles.

Euting, J., (1891)
Sinaitische Inschriften, Berlin

Grohmann, A., (1962)
Arabic inscriptions, expedition philby-Rychmans- Lippens en Arabic, 11e partie, Textes epigraphiques, Louvain.

Gruendlir, B., (1993)
The development of the Arabic scripts from the Nabatean era to the first Islamic century according to dated texts, Harvard Semitic Series 43, Atlanta.

Al- Hawary, H., (1930)
"The most ancitent Islamic monument Known dated A. H. 31 (A. d. 652) from the time of the calif Uthman", JRAS, pp.321- 333.

Healey, J. F., (1990- 1991)
"Nabataean to Arabic: Calligraphy and Script development among the pre-Islamic Arabic", Manuscripts of the Middle East 5, pp.41- 53, Ter Lugt Press, Leiden.

Healey, J. F. and Smith, G. Rex, (1410/ 1989)
"JS 17 the earliest dated Arabic document (AD 267)", Atlal, xii, pp77- 84.

Healey, J. F. (1990)
The Early Alphabet, British Museum Publication, London.

Huber, Ch., (1883- 1884)
Journal d un Voyage en Arabie, La Societe Asiatique et la Societe de Geograbhie, Paris.

Jaussen, A. and Savignac, R., (1909)
Mission Archeologique en Arabie, 2 vols, Paris.

Lidzbarski, M., (1898)
Handbuch der nordsemitischen Epigraphik nebst ausgewahlten

Inschriften, Band 1- 11, Weimar.

Littmaann, E., (1953)

"Nabataean Inscription from Egypt", Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol 15, pp.1- 28.

……., (1954)

"Nabataean Inscription from Egypt II", Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol 15, pp.1- 28.

Miles, G., (1948)

"Early Islamic Inscriptions near al-Taif in the Hijaz", JNES, vii, pp.236- 242.

Milik, J., (1958)

"Nouvelles Inscriptions Nabateennes", Syria 35, pp.227- 251.

Al-Moraekhi, M., (1995)

"A Critical and Analytical Study of Some Early Islamic Inscriptions from Medina in the Hijaz, Saudi Arabia", (University of Manchester PH. D thesis).

Naveh, J., (1987)

Early History of the Alphabet: an Introduction to West Semitic Epigraphy and Development, Jerusalem.

……., (1979)

"A Nabatean Incantation Text", Israel Exploration Journal, vol 29, pp.111- 119.

Negev, A., (1981)

"nabatean, Greek and Thamudic Inscriptions from the Wadi Haggag-Jebel Musa Road", Israel Exploration Journal, vol. 31, pp.66- 71.

……., (1977)

"nabatean Sanctuary at Jebel Moneijah, Southern Sinai", Israel Exploration Journal, vol. 27, pp.219- 231.

……., (1963)

"nabatean Inscriptions from Avdat (Oboda)", Israel Exploration Journal, vol. 13, no. 2, pp.113- 124.

……., (1967)

"New Dated Nabatean Graffiti from the Sinai", Israel Exploration Journal, vol. 17, pp.250- 255.

Shahid, I., (1979)

"Philological observations on the Namara isnscription". The Namara Inscription", Journal of Semitic Studies, XXIV, pp.33- 42.

Smith, G. Rex and al-Moraekhi, M., (1996)

The Arabic papyri of the John Rylands University Library of Manchester, Bulletin of the John Rylands University Library of Manchester, volume 78, number 2.

Winnett, F., and Reed, W., (1970)

Ancient Records from North Arabia, University of Toronto press, Toronto.

تاريخ تجديدات المسجد النبوي من العصر العباسي إلى نهاية العصر العثماني

أ.د طلال بن محمد الشعبان
أستاذ الآثار الإسلامية
قسم الآثار - كلية السياحة والآثار- جامعة الملك سعود

مقدمة

المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة هو أبو المساجد رغم أنه ثاني مساجد الإسلام بعد مسجد قباء إذ هيمن تخطيطه على تخطيطات المساجد الأولى في كافة الأمصار. ومن المعروف أن المسجد على عهد الرسول ﷺ كان مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل(١).

وكما يقرر علماء الآثار الإسلامية فإن المسلمين لم يلجؤوا إلى اقتباس تخطيط له من معابد الوثنيين أو كنائس المسيحيين أو معابد اليهود كما فعل الرومان أو المسيحيين من قبل ذلك أن الدين الحنيف لم يتطلب أكثر من جدران تقام بأية مواد بنائية تحدد محيط المسجد وتحفظ حرمته ومن سقيفة أو ظلة أو أكثر يحتمي بها المسلمون في أثناء صلواتهم(٢).

وقد شارك الرسول ﷺ مع أصحابه في بناء المسجد عند دخوله مهاجرا للمدينة المنورة وكان عبارة عن فناء مربع طول ضلعه ٣٥ م تقريبا تحيط به جدران من الطوب اللبن واتجاه القبلة كان في الشمال وبعد سبع سنوات تمت توسعته لتزايد أعداد المصلين وأصبح طول كل ضلع حوالي ٥٠ م. (٣).ولم يزد أبو بكر فيه شيئا أما في خلافة عمر بن الخطاب فقد أعاد الفاروق عمده خشبا عوضا عن جذوع النخل

(١) مؤنس، حسين: المساجد-سلسلة عالم المعرفة-العدد ٣٧- الكويت ١٩٨٣- ص ٥٢
(٢) شافعي، فريد: العمارة العربية -الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة ١٩٧٠ - ص ٢٣٧
(٣) عبد الحافظ، عبد الله عطية: الآثار والفنون الإسلامية-القاهرة ٢٠٠٥ - ص ٨٠

وغيره الخليفة عثمان بن عفان وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقضة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من الساج مع الحفاظ على هيئته ومساحته [١].

وفي عام ٩١ هـ/ ٧١٢ م جدد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بناء المسجد بشكل كامل [٢].وروعي في البناء الذي أشرف على تنفيذه والي المدينة عمر بن عبد العزيز أن يتحقق فيه ما تطور إليه فن العمارة الإسلامية حتى ذلك الوقت من تقدم مع المحافظة قدر الإمكان على التراث المعماري الذي يرجع للعهد النبوي [٣]

وفي تلك العمارة أصبح المسجد مؤلفا من صحن أوسط وأربع ظلات وأضيفت إليه لأول مرة مآذن في أركانه الأربعة وشيد به محرب مجوف [٤].وشيدت جدران المسجد من أسفل بالرخام ومن أعلاها بالفسيفساء من فصوص الزجاج الملون وجعل السقف من الساج وزخرفته بماء الذهب ونقش رؤوس الأعمدة والأعتاب بالذهب [٥]

المسجد النبوي في العصر العباسي

استمر المسجد النبوي الشريف على حالته المعمارية التي قام بها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك إلى بداية العصر العباسي، على الرغم من أن هناك أقوال لبعض المؤرخين بأن كانت هناك حاجة لتوسعة المسجد في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)، والذي أكتفى بتغطية صحن المسجد المكشوف بالستور خاصة في أيام الجُمع والمواسم الدينية، وأنه توفى ولم يزد معمارياً في المسجد [٦]

(١) مؤنس، حسين: المساجد ص ٥٢
(٢) كونل،إرنست: الفن الإسلامي-ترجمة أحمد موسى –دار صادر –بيروت ١٩٦٦- ص ١٨
(٣) الباشا ، حسن: مدخل إلى الآثار الإسلامية-دار النهضة العربية-القاهرة ١٩٧٩ – ص
(٤) عبدالحافظ ،الآثارالإسلاميةص ٨١
(٥) الباشا، مدخلإلىالآثارالإسلاميةص ١٢٤.
(٦) السمهودي، جمال الدين أبو المحاسن عبد الله شهاب الدين بن العباس الشافعي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى-القاهرة ١٣٢٦ هـ-ج ٢ –ص ٥٣٦

وأول من قام بزيادة المسجد النبوي الشريف في العصر العباسي هو الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)، نتيجة لتطور وزيادة رقعة المجتمع الإسلامي، وزيادة عدد الزائرين خاصة في مواسم الحج والعمرة، وتأتي هذه الزيادة في أعقاب قيام هذا الخليفة عقب انصرافه من الحج وزيارته للمدينة المنورة عام ١٦٠هـ، فأشترى ما حول المسجد من المنازل والدور وأزاد في المسجد ١٠٠ ذراع (٤٩,٨٠ متراً) ولم يزد في جهة القبلة ولا في الجهة الشرقية ولا في الغربية، لتصبح مساحة المسجد ٢٠٠ ذراع.

عرضا و ٣٠٠ ذراع تقريباً في الطول ، كما قام الخليفة المهدي بخفض مقصور المسجد وكانت مرتفعة قدر ذراعين عن أرض المسجد وذكر أنه أراد بذلك لمساواة المساجد الإسلامية جميعاً بالمسجد النبوي [١]

إلا انه قد عاد وسمع بإعادة المقصورة إلى ما كانت عليه وإقامتها على امتداد الرواق الأول في ظلة القبلة وقد قيل أن المسجد في عهد المهدي زخرف بالفسيفساء شأنه في ذلك شأن الخليفة الوليد[٢].

وقد احتوى المسجد بعد عمارة المهدي على سبعة عشر عموداً في الإتجاه الموازي لحائط القبلة، وثمانية وعشرين عموداً في الاتجاه الموازي للحائط الشرقي والغربي، وكان للمسجد خمسة أروقة بظلة القبلة، وخمسة أروقة بالجهة الشمالية، وثلاثة أروقة بالجهة الشرقية، وأربعة بالجهة الغربية، وأصبحت أبواب المسجد أربعة وعشرون باباً، منها أربعة في القبلة خاصة غير عامة، وعشرون باباً عامة، وثمانية أبواب بالجهة الشرقية، وثمانية بالجهة الغربية، وأربعة أبواب في الجهة الشمالية[٣]

(١) البلاذري، أحمدبن يحيى بن جابر: فتوح البلدان-تحقيق عبدالله الطباع-بيروت ١٣٧٧ هـ -ص ١٤

(٢) ابن عبدربه، أحمدبن محمدالأندلسي: العقدالفريد-تحقيق محمدالعريان-القاهرة ١٣٧٢ هـ -ج ٧ - ص ٢٥٣.

(٣) رفعت ،إبراهيم :مرآةالحرمين: القاهرة - ١٣٤٤ هـج ١-ص ٤٧٦

وكان للمسجد حتى زيارة الرحالة ابن جبير (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ثلاثة مآذن إحداها في الركن الشرقي المتصل بالقبلة و اثنتان في ركن الجهة الجنوبية [١].

وقد أشرف على هذه العمارة عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن شبيب الغساني من أهل الشام، وبعد وفاة ابن عاصم أشترك عبد الله بن موسى الحمصي مع عبد الملك في الإشراف على هذه العمارة، وقد أثبت ذلك في نص كتابي بصحن المسجد نصه "بسم الله الرحمن الرحيم أمر عبد الله المهدي أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة في مسجد الرسول ﷺ وإحكام عمله ابتغاء وجه الله عز وجل والدار الآخرة أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وأبنائه من جميع المسلمين، فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسنة في ذلك، وحسن ثوابه، وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ في سنة اثنين وستين ومائة، وفرغ منه في سنة خمسة وستين ومائة، فأمير المؤمنين أصلحه الله يحمد الله على ما أذن له واختصه به من عمارة مسجد رسول الله ﷺ حمداً كبيراً والحمد لله على كل حال"[٢].

ويتضح من النص السابق أن عمارة الخليفة المهدي في المسجد النبوي بدأت في عام ١٦٢هـ/ ٧٧٨-٧٧٩م واستمرت حتى عام ١٦٥هـ /٧٨١-٧٨٢م.

وفي سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م قام الخليفة العباسي هارون الرشيد بعمل تجديدات وإصلاحات بالمسجد لم تغير من جوهر عمارته شيئاً [٣].

كما قام الخليفة المأمون في سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م بإجراء ترميمات وتجديدات أيضاً في بعض الأجزاء المعمارية بالمسجد[٤].

(١) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلس: رحلة ابن جبير- تقديم محمد مصطفى زيادة- بيروت ١٣٨٤ هـ- ١٧١

(٢) ماهر، سعاد: مساجدمصر وأولياؤها الصالحون - القاهرة ١٩٧١ – ج ١ –ص ١٢٧

(٣) السمهودي: وفاءالوفا –ج ٢- ص ٦٨٤

(٤) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم-دار المعارف-القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٣١

وفي عهد الخليفة المتوكل على الله عملت وزرة من الرخام بارتفاع قامة الإنسان وتم فرش الحجرة النبوية المشرفة، وترميم جدار المسجد وتكسيتها بالرخام، وكان ذلك على يد إسحاق بن سلمة الذي قام أيضاً بعمارة الحرم المكي في سنة ٢٤٦-٢٤٧هـ/ ٨٦٠-٨٦١م [١]

وفي عهد الخليفة المعتضد العباسي عملت بعض الاصلاحات في الجدار الشرقي المطل على صحن مسجد وكان ذلك في عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م.

وفي عام ٣١٠هـ/ ٩٢١م في خلافة المقتدر بالله تم تركيب أبواب خشبية من خشب الساج الهندي على مداخل المسجد، وفي عام ٥٤٨هـ من خلافة المقتضي جدد رخام الحجرة النبوية المشرفة [٢] وكسيت أيضاً بالرخام في خلافة المستضئ (٥٦٦-٦٧٥هـ/ ١١٧٠-١١٨٠م) [٣]

وفي خلافة الناصر لدين الله العباسي تم عمل قبة كبيرة في صحن المسجد النبوي الشريف عرفت بقبة الزيت لحفظ الذخائر مثل المصاحف والكتب الأخرى وكان ذلك في عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، كما جدد هذا الخليفة الحائط الشرقي من المئذنة الشمالية الشرقية، وجدد أيضاً المنبر الأموي في ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م الذي تأثر بحريق شب بالمسجد من قبل سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م [٤]

استمر المسجد النبوي الشريف على حالته المعمارية منذ عهد الخليفة المهدي رغم حدوث الحريق السابق الإشارة إليه الذي أتلف السقف الخشبي والمنبر والأبواب والخزائن والشبابيك والمقاصير، إلى أن جاء الخليفة المستعصم بالله وقرر البدء في عمارة المسجد عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، وقام بإرسال الصناع والمعماريين والآلات، إلا أن هذه العمارة توقفت بنهاية الدولة العباسية واستيلاء المغول عليها عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ١٤
(٢) السمهودي: وفاء الوفاء ٢ – ص ٥٧٣
(٣) ابن جبير: رحلة ص ١٧٢
(٤) لمعي، صالح: المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري .بيروت ١٩٨١ ص ٧٨.

المسجد النبوي في العصر المملوكي البحري

بعد انتهاء الدولة العباسية وسقوط مدينة بغداد على أيدي المغول آلت رعاية الحرمين الشريفين إلى الدولة المملوكية البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، وأظهر سلاطين وأمراء هذه الدولة عناية فائقة بالأماكن الإسلامية المقدسة ومنها المسجد النبوي الشريف، وأول عناية واهتمام قام بها السلطان عز الدين أيبك عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م بالإشتراك مع ملك اليمن المظفر شمس الدين يوسف، حيث أرسل منبراً إلى المسجد النبوي وتم إتمام عمارة الحرم النبوي بعد الحريق السابق الإشارة إليه [١]

ثم قام السلطان سيف الدين قطز عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م بإصلاحات كبيرة في المسجد حيث أكمل العمل بالجهة الجنوبية في ظلة القبلة من باب السلام والرحمة بالجهة الغربية إلى باب جبريل وباب النساء بالجهة الشرقية كما قام السلطان بيبرس البندقداري بعدة إصلاحات للمسجد شملت ترميم السقف الخشبي، وإرسال منبراً جميلاً من خشب الصندل، وعمل مقصورة خشبية بها ثلاثة أبواب حول القبر النبوي الشريف، وذلك من خلال الأمير جمال الدين محمد الصاحلي الذي أرسله هذا السلطان ومعه ثلاثة وخمسون صانعاً لأجل هذه الأعمال وكان ذلك في عام ٦٥٥-٦٥٨هـ/ ١٢٥٧-١٢٦٠م [٢]

وفي عام ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م قام السلطان المنصور قلاوون بعمل قبة من الخشب فوق الحجرة النبوية الشريفة، وصفت بأنها مربعة من أسفلها، مثمنة في أعلاها أقيمت على رؤوس السواري، وسمر عليها ألواح الخشب، ومن فوقها ألواح من الرصاص [٣]. كما قام السلطان قلاوون أيضاً بعمل ميضأة خارج المسجد عند باب السلام، في مكان دار مروان بن الحكم وكان ذلك في عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م [٤].

(١) السمهودي: وفاءالوفاج ٢ ص ٤٠٧

(٢) المطيري،جمال الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد: التعريف بما أنسب الهجرة من مع المدار الهجرة. تحقيق عبد المحسن الخيال-دمشق ١٣٧٢ هـ- ص ٢٥

(٣) السمهودي: وفاءالوفاج ٢ ص ٥٦٦

(٤) ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري الحنفي : تاريخ الدول والملوك-القاهرة ١٣٨٦هـ - ج ٨ – ص ٥٢

وفي عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أجريت العديد من الاصلاحات والترميمات بالمسجد النبوي، ففي عام ٧٠١هـ/ ١٣٠١م قام بتجديد سقف الرواق الذي فوق الروضة الشريفة بسبب إصابة بعض أخشابه بتلف من جراء المطر الشديد الذي تسرب من قبة الحجرة المشرفة[١] (رفعت ١٣٤٤هـ: ط: ٤٦٦).

وفي عام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م جدد نفس السلطان السقف الخشبي للظلات الشرقية والغربية وجعله سقفاً واحداً على نفس مستوى سقف الظلة الشمالية التي قام السلطان بيبرس بتجديدها من قبل، وفي عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م أمر بتشييد المئذنة الجنوبية الغربية والمعروفة بمنارة باب السلام ثم أضاف رواقين إلى ظلة القبلة، ليصبح عدد أروقتها بعد هذه الزيادة سبعة وكان ذلك عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م[٢]. كما قام بتجديد المقصورة الخشبية التي أقامها السلطان بيبرس، وزاد عدد أبوابها إلى أربعة أبواب وكان ذلك عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م[٣].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الأعمال التي قام بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون تتسم بسمات لا تشاركها فيها أعمال سلطان سابق، فهي لا ترتبط بزمن واحد ولا تتصف في مراحلها المختلة بصفة واحدة، ويرجع السبب في ذلك إلى تلك الفترة الزمنية الطويلة التي حكمها هذا السلطان والتي امتدت في الفترة من ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م إلى ٧٤١هـ/ ١٣٤١م.

وبعد فترة وجيزة من الأعمال السابقة في دولة المماليك البحرية قام السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون بعمل عدة إصلاحات فنية ومعمارية بالمسجد النبوي ففي عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م قام بتجديد القبة الخشبية التي شيدها جده قلاوون وأضاف إليها ألواح جديدة من الرصاص، ويبدو أن هذا التجديد لم يكن بالشكل المحكم، مما دعا إلى تجديدها مرة أخرى عام ٧٦٥هـ/

(١) رفعت،إبراهيم: مرآةالحرمينج ١ص ٤٦٦.
(٢) المطيري: التعريف ص ٣٥
(٣) السمهودي: وفاء الوفاج ٢ ص ٦١٤

١٣٦٣م أي بعد مرور أربعة عشر عاماً على يد السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون [١]

كما قام السلطان الأشرف شعبان عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م أي بعد عامين من التجديد السابق بتجديد الشرافات التي تتوج أعلى جدران المسجد والتي أتلفها حريق عام ٦٥٤هـ(١٢٥٦ م)- إذ لم يكن للمسجد شرافات منذ هذا الحريق، ولم يفكر أحد من الملوك السابقين الاهتمام بها واكتفوا بالأعمال الفنية والمعمارية الأخرى.

وإضافة إلى الأعمال المعمارية والفنية السابقة التي قام بعملها السلطان الأشرف شعبان قام بإلغاء المكوس التي كانت تجبي بمكة والمدينة المشرفتين ورتب على بيت المال المعمور في كل سنة مائتي ألف وستين ألفاً درهماً [٢].

المسجد النبوي في العصر المملوكي الجركسي

استمر سلاطين وأمراء العصر المملوكي الجركسي (٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢- ١٥١٧م) في المحافظة على عمارة المسجد النبوي الشريف، والاهتمام بعمارته وذلك بعد معرفتهم بالحريق الذي أتلف عناصره المعمارية في عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وكان أول المهتمين بالمسجد من سلاطين هذا العصر هو السلطان الظاهر برقوق الذي أرسل منبراً خشبياً بديعاً عام ٨٩٧هـ/ ١٣٩٤م ولم يكتب لهذا المنبر البقاء كثيراً، وذلك لأن السلطان المؤيد شيخ المحمودي أرسل منبراً آخر من الخشب بديع الصنع لا يقل جمالاً وإتقاناً عن المنبر الأول وكان ذلك في عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م والذي ظل متواجداً بالمسجد قرابة سبع وستين عاماً إلى أن أحترق في حريق المسجد الثاني عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م في عهد السلطان الأشرف قايتباي [٣].

(١) السمهودي: وفاء الوفاج ٢ ص ٦١٠

(٢) المراغي، زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي: تحقيق النصرة بتلخيص مع المدار الهجرة – تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي- المدينة المنورة ١٣٧٤ هـ ص ٢٤

(٣) السمهودي: وفاء الوفاج ٢ ص ٤٠٨

بعد ذلك جاء السلطان الأشرف برسباي الذي قام بعده إصلاحات معمارية وفنية بالمسجد عام ٨٣١هـ/ ١٤٢٨م تحت إشراف الأمير مقبل القديدي، حيث قام بتسمير أبواب المقصورة الخشبية التي تحيط بالحجرة النبوية المشرفة، كما قام بتجديد الرواقين المطلين على الصحن اللذين أحدثهما السلطان الناصر محمد بن قلاوون في العصر المملوكي البحري، وبالتالي صار سقف ظلة القبلة على مستوى سطح واحد كما أمر هذا السلطان أيضاً بتجديد جزء من السقف الخشبي بالركن الشمالي للمسجد بسبب التلف الذي أصابه من تصريف مياه الأمطار إليه[١].

وفي عهد السلطان أبو سعيد جقمق جدد سقف المسجد خاصة منطقة الروضة الشريفة على يد المعمار برد بك التاجي عام ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م، والذي أعاده بالصفة التي كان عليها من قبل، كذلك عمل هذا السلطان باباً بالجهة الشمالية بالمقصورة الخشبية التي وضعها السلطان بيبرس البندقداري من قبل في العصر المملوكي البحري، واستحدث سقفاً لطيفاً يحيط به رفرف بهذه الجهة أيضاً لحماية الحجرة الشريفة من حرارة الشمس، وبسط الأرضية بالرخام الملون، كما أحاط جدار القبلة بوزرة من الرخام الملون على غرار الوزرات الرخامية للمنشآت الدينية التي بنيت في عصر المماليك الجراكسة[٢]

وعلى أية حال فإن هذه التجديدات المعمارية والفنية التي قام بها السلطان جقمق تُعد خاتمة الأعمال الهامة التي قام بها سلاطين العصر المملوكي الجركسي في المسجد النبوي الشريف، وأصبح المسجد بذلك في مأمن من الأضرار التي كانت تهدده. وفي هذا العصر قام السلطان إينال في عام ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م بتكليف الأمير طوغان شيخ الأحمدي باستحداث محراب خاص بالحنفية في المسجد النبوي في محاذاة المحراب النبوي، كما قام هذا الأمير بإصلاح بعض قطع وزرات الرخام التي سقطت من جدار الحجرة النبوية المشرفة[٣]

(١) السمهودي: وفاءالوفاج ٢ ص ٦٠٥
(٢) السمهودي: وفاءالوفاج ٢ ص ٦١١
(٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة تحقيق محمد

وفي عهد السلطان الملك الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م) أجرى بالمسجد النبوي عمارة كبيرة، حيث سار هذا السلطان على نهج السلاطين من قبله في الاهتمام بالمسجد النبوي الشريف، وأن أول عمارة أجريت كانت عام ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م تحت إشراف الأمير شمس الدين بن الزمن، حيث تم هدم عقود الظلة الشرقية بسقفها الخشبي وإعادة تجديدها، وهدم بعض من جدار القبلة وتجديدها، ثم أعيدت الأعمدة من الحجارة المدعمة بالرصاص، كذلك هدم الحائط الشرقي من بعد المئذنة الشمالية الشرقية من أساسه وأعيد تجديده، كما عملت إصلاحات في أساس تلك المئذنة، وشملت هذه التجديدات تدعيم وتأسيس وتمهيد التربة التحتية، فتم تدعيمها بالطين (الطفلة) والجير (الكلس – النورة) والرمل (ناعم الحصباء)، وأصلح السقف في ذلك الجزء، مع تكحيل الحجارة من الداخل والخارج بالجص[١]

أما عمارة قايتباي الثانية فكانت عام ٨٨١هـ/ ١٤٧٧م على يد الأمير شمس الدين بن الزمن أيضاً ثم فوض بها شرف الدين الأنصاري إلا أنه توفى بعد فترة وجيزة، ولم تقم فيها أعمال بسبب نقص في الأدوات مما استدعى إشراف شمس الدين بن الزمن على الأعمال مرة ثانية مصحوباً بعدد من أرباب الصَنائع.

ومن أهم ما أجرى في هذه العمارة رفع سقف الروضة الشريفة الأعلى وما أتصل به مما حول القبة، بسبب ما أتلفته فيه مياه الأمطار كما رفع أيضاً بعض السقف الخشبي غربي المنبر، وقد نتج عن ذلك بناء عقود جديدة من الآجر والحجارة مقامة على أعمدة من الرخام ودعائم حجرية. وبالتالي استبدلت الجسور الخشبية بالعقود من الطوب الآجر على نمط عقود الصحن، ونتج عن ذلك أيضاً رفع سقف هذه المنطقة عن بقية السقف في ظلة القبة بحوالي نصف المتر، مع وجود سقفين كما هو الحال في الأسقف الأخرى، وأصلح السقف السفلي بالرواق الشرقي شرق القبر النبوي الشريف، وسقف الرواق بين باب جبريل وباب

الفقي- القاهرة ١٩٦٩ ص ٩٢

(١) لمعي: المدينة المنورة ص ٨٢

النساء، وكذلك السقف السفلي أمام القبر النبوي الشريف بالجهة الجنوبية والذي كان عليه نص كتابي باسم السلطان الظاهر بيبرس في العصر المملوكي البحري، كذلك أصلحت بعض أجزاء سقف الظلة الشمالية للمسجد[١]

ومن الأعمال المعمارية التي قام بها السلطان قايتباي في عام ٨٨١هـ/ ١٣٧٧م تلك التجديدات التي أحدثت بالحجرة والقبة الشريفة، ويرجع السبب ذلك تلك الشروخ الشديدة في الجدار الداخلي والخارجي للقبة، مما استدعى هدم الجدار التالفة، ورفع سقف الغرفة وتم إعادة بناءها بالحجارة اللازمة، وتبين أن أرضية القبة منخفضة عن أرضية المسجد المحيطة بها بحولي ١,٥ ذراع، فعملت قبة داخلية بدلاً من السقف الخشبي المسطح، واستعمل في بنائها الحجارة البازلتية، أما قمتها فعملت من الحجر الجيري، أما الجدران الداخلية فكسيت بوزرات الرخام المتعددة الألوان والمعروفة وثائقياً (السماقي)، كما جددت المقصورة الخشبية حول القبر النبوي الشريف .

وقد ذكر السمهودي أن القبة لها منطقة انتقال من الشكل المربع إلى الشكل الدائري عن طريق مقرنصات متدرجة في رقبتها وصنعت بزوايا الحجرة [٢]

وبعد الانتهاء من عمارة القبة أتضح أن ارتفاعها عن الأرضية حوالي اثنا عشر ذراعاً يعلوها هلال من النحاس، وهي بذلك على غرار القباب المملوكية خاصة في عهد السلطان قايتباي المنتشرة بمدينة القاهرة خاصة منطقة قرافة المماليك، كما تم فرش أرضية بالحصباء المجلوبة من وادي العقيق بعد غسلها إلى القبور الشريفة من عند الجدار.

وبعد الانتهاء من هذه العمارة جُدد محراب إسطوان التهجد الذي كان داخل المقصورة الخشبية التي أنشأها من قبل السلطان الظاهر بيبرس وكسي بالرخام الملون ونقش عليه كتابة بالخط النسخ المملوكي الأمر بتجديد عمارة الحجرة الشريفة من قبل السلطان قايتباي [٣]

(١) السمهودي: وفاء الوفاج ٢ ص ٦٠٦.
(٢) السمهودي: وفاء الوفاج ٢ ص ٦٣١
(٣) السمهودي: وفاءالوفاج ٢ ص ٤٥٣

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعد انتهاء هذه العمارة التي أجريت عام ٨٨١هـ/ ١٤٧٧م والتي استغرقت ثلاثة وخمسين يوماً تهيأت الظروف في المدينة المنورة لقدوم السلطان الأشرف قايتباي من مصر الذي عقد العزم على أداء مناسك الحج، فقام بزيارة المدينة قبل الحج فوصلها في عام ٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م حيث مكث بها يومين[١]

في عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م حدث حريق كبير بالمسجد النبوي الشريف أثر صاعقة أصابت المنارة الرئيسية قبل صلاة الفجر وذلك عندما كان رئيس المؤذنين يستعد لرفع آذان الفجر من أعلى المنارة (الجنوبية الشرقية)، فانشق الجزء العلوي فيها جراء هذه الصاعقة وتناثرت بعض أجزائها على المباني المجاورة، وسقط المؤذن على سطح المسجد المجاور للمنارة، وانتشرت النار في أنحاء المسجد، ولم يسلم من هذا الحريق غير القبة الداخلية على القبر النبوي الشريف والتي جددت في عهد السلطان قايتباي السابقة[٢]. وعندما وصل الخبر إلى السلطان قايتباي في مصر أمر بأن يتوجه شاد العمائر السلطانية في ذلك الأمير سنقر الجمالي بالتوجه إلى المدينة المنورة لإعادة أعمار المسجد ومعه أكثر من مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانيين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين وغيرهم، إضافة إلى أكثر من ثلاثمائة صانع أحضروا مع مواد البناء اللازمة تحت إشراف شمس الدين بن الزمن الذي أشرف على العمارة قبل الحريق[٣]

وبدأ العمل في المسجد بعمارة المئذنة الرئيسية التي بدأت بالكارثة، حيث هدمت تماماً إلى أساسها، والحائط الخارجي لظلة القبلة من باب السلام إلى آخر

حائط من المشرق إلى باب جبريل وما يلي المنارة من المغرب أيضاً إلى باب الرحمة، وتوسع المحراب في حائط القبلة، وعملت أعمدة جديدة تحمل عقوداً من الآجر يعلوها السقف الرئيسي الخشبي، كما عمل قبة صغيرة تتقدم المحراب،

(١) السمهودي: وفاء الوفاج ٢ ص ٧١٢
(٢) السمهودي: وفاء الوفاج ٢ ص ٦٣٣
(٣) السمهودي: وفاء الوفاج ٢ ص ٦٤٠

إضافة إلى قبة كبيرة أقيمت على دعائم حجرية وعقود من الآجر أيضاً على القبر النبوي الشريف وكتب عليها بالخط النسخ المملوكي ما يفيد بأنها من عمل السلطان قايتباي عام ٨٨٦هـ(١٤٨١ م) .وقد نتج عن هذا التجديد ضيق في الفراغ بين الحائط الخارجي الشرقي والمباني الجديدة، مما استلزم زيادة السطح بهذه الجهة بنحو عرض الحائط السابق، وبقى باب جبريل في مكانه، وأضيفت دعامتان للعموديين بالجهة الشرقية من الحجرة النبوية المشرفة وتم تغطية السقف بين قبة الحجرة النبوية والحائط الجنوبي بقبة أخرى حولها ثلاث قباب أخرى صغيرة، كما فتح بالقبة الرئيسية ست وسبعين شباكاً وطاقة، وللقبة أيضاً أركان أربعة فوق ذلك في كل ركن شباك. وقد طليت القبة بالجبس والنورة فور الانتهاء من بنائها[١].

وعمل فراغ للإنارة والتهوية بجوار القباب السابقة والمئذنة الرئيسية كما عمل للأخيرة باب في الحائط الغربي بعد أن كان بابها الأول في الحائط الشمالي، كذلك عملت قبتان أمام باب السلام داخل المسجد كسي بالرخام الأبلق (الأبيض والأسود)، وزخرفت القباب والباب بزخارف رائعة، كما تم عمل محراب في مكان المصلى النبوي كسي بالرخام الملون ونقش عليه نص كتابي باسم السلطان قايتباي وتاريخ سنة ٨٨٨ هـ [٢]

ومن الأعمال المعمارية والفنية التي أقيمت أيضاً في هذه المرحلة مقصورة من النحاس لها شبابيك، ومنبر ودكة مبلغ من الرخام، وخزائن بالظلة الغربية بين باب الرحمة ومؤخر المسجد، وتخصيص أرضية ظلة القبلة حتى ساوت أرض المصلى النبوي، وأقيمت فتحات معقودة ودائرية بالجزء العلوي من جدار القبلة لغرض الإضاءة والتهوية غشيت بالزجاج الملون المعشوق في الجص.

واهتم المرخمون بتغطية وترخيم جدارن الحجرة النبوية المشرفة وما حولها وترخيم الجدار القبلي للمسجد وألبسوا الدعائم المحدثة في المواجهة للقبة من

(١) لمعي: المدينةالمنورةص ٨٤.
(٢) السمهودي: وفاءالوفاج ٢ ص ٣٧٨

داخـل المقصورة الشريفة وخارجها بالرخام الملـون البديع، وقام الدهانون بدهان سقف المسجد باللازورد.

وعنـد الانتهاء من ذلك كله أزال الفنانون البنـاء الذي قام بعمله أهل المدينة في موضـع المقصورة بالحجرة المشرفة وأبدلوا ما يلي القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس وبأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزرد[١]

وعندما قاربت كل هذه الأعمال على الانتهاء قام السلطان الأشرف قايتباي بعمـل رباطاً ومدرسة لتدريس المذاهـب السنية ملاصقين للحائط الغربي للمسجد بـين بابي السـلام والرحمة وبناء مئذنـة صغيرة عرفت بمئذنة بـاب الرحمة، وما زالـت الأبواب الخشبية بالمسجد تحمـل اسم السلطان قايتبـاي[٢]، وقد انفق هذا السلطان على عمارته هذه ما قيمته مائة وعشرون ألف دينار من الذهب[٣].

المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني

بعـد استيلاء العثمانيين على مصر في عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وانتقال الخلافة إلى آل عثمان، أصبح لهم السيطرة على الحرمين الشريفين، وخلفوا سلاطين مصر في القيـام بما يحتـاج إليه المسجد النبوي، وإدخال بعض سمـات العمارة العثمانية، وكان أول العثمانيين الذين قاموا بهذه السمات هو السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠- ١٥٦٦م)، حيث قام عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م بإرسال مهندسين وفنيين إلى المدينـة المنـورة بعد أن وصلـه خبر تصدع الجـدار الغربي للحجـرة الشريفة، إضافة إلى بعد الترميمات الصغيرة بالمسجد، وقد جاء في بعض المصادر التاريخية أن هـذا السلطـان قام بالإنفـاق على المسجـد الشريف من خزينـة مصر، وكذلك قدمت العمال والأدوات والمواد من مصر أيضاً، وأن المهندس الذي أشرف على هذه الأعمال مهندس مصري يدعي على بن تبك (الرومي ١٩٧٢م: ٢٢)

(١) السمهودي وفاء الوفاج ٢ ص ٦٤٢
(٢) لمعي المدينة المنورة ص ٨٤
(٣) السمهودي: وفاءالوفاج ٢ ص ٤٥٧

وفي عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م أجريت بالمسجد عمارة كبيرة احتاجت كثير من المال والوقت والعمال، وتتمثل هذه العمارة في إقامة باب الرحمة، وباب النساء، وبناء المئذنة السليمانية نسبة إلى السلطان سليمان القانوني بالجهة الشمالية الشرقية بدلاً من المئذنة المملوكية المعروفة بالسنجارية، وعمل أساسها بأكثر من ١٣ ذراعاً (٨ أمتار) وعمل على هيئة مربعة ٧×٧ (٤,٥٩ متراً) ورفع البناء بالحجر والمونة الجيدة، وعلى سطح الأرض قطاع المئذنة مربع ٦×٦ ذراعاً (٣,٩٣ متراً)[١].

وبناء على هذه المعطيات فإن المئذنة السليمانية مكونة من ثلاثة طوابق، الجزء السفلي يقع أعلى سطح المسجد، والطابق الثاني مثمن الشكل، والثالث أسطواني، وينتهي كل من الطابقين الثاني والثالث بشرفة يعلو ذلك قمة مدببة مخروطية على نمط المآذن العثمانية المنتشرة في العالم الإسلامي التابع للدولة العثمانية. أما الأعمال الأخرى فشملت إصلاح بعض الأخشاب التالفة في السقف المجاور للجدار الغربي، وأعمال بياض الجدران الداخلية وتجديد الأعمدة الرخامية، وقد نقش اسم السلطان سليمان القانوني وتاريخ البناء على رفوف الخشب بأعلى الجدار الغربي من المسجد [٢].

وفي عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م شرع السلطان القانوني في هدم المحراب المملوكي المشيد عام ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م وحل محله محراب عرف بمحراب مصلى الحنفية بين المنبر وحدّ المسجد محاذياً لمحراب الشافعية في مكان مصلى الرسول ﷺ، وزخرف بزخارف بديعة من الرخام، وتم افتتاحه في ربيع الأول ٩٤٨هـ/ ٦ يوليو ١٥٤١م(٤٧) وقد كتب خلف المحراب على لوح من الرخام طوله ٧٢سم وعرضه ٦٦سم بالخط الثلث اسم وألقاب السلطان سليمان وتاريخ البناء.

وفي عام ٩٩٤هـ/ ١٥٦٦م أمر السلطان سليمان القانوني بتسمير العوارض الخشبية (الروابط) الواقعة بين الأعمدة من المنبر إلى دون باب السلام لتعليق

(١) الرومي، محمد خضر الرومي: التحفة اللطيفة – نشر حمد الجاسر– الرياض ١٩٧٢ ص ٩١
(٢) الرومي: التحفة اللطيفة ص ٩٢

المشكاوات الخاصة بالإضاءة كما هدم الجدار الغربي للمسجد من باب الرحمة حتى المئذنة الشمالية الغربية، كذلك تم ترخيم الروضة الشريفة بوزرات من الرخام المتعدد الألوان البديع الصنع، كما أصلح الرصاص المغطي لقبة الحجرة النبوية المشرفة ووضع أعلاها هلال من النحاس وكذلك أعلى قمم المآذن الأربعة[١].

ومن الأعمال التي تنسب لهذا السلطان أيضاً الأحجار التي أقيمت في داخل باب السلام من جهة الشرق والشمال لمنع الناس من دخول المسجد بنعالهم كما فعل المماليك من قبل[٢].

وفي عهد السلطان سليم الثاني بن سليمان (٩٧٤- ٩٨٣هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٥)، اهتم بتجديد عمارة المسجد الشريف وأكثر العطاء والصرف على المسجد وفقراء المسلمين، كما فعل أبيه من قبل ففي عام ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م أمر بتطهير مجرى العين الزرقاء وتزويد حوض الوضوء الموجود بجوار باب الرحمة بفرع من القناه، وأكمل أعمال الإصلاح والتجديد التي لم تتم خلال حياة أبيه مثل الأسقف الخشبية والأعمدة الرخامية والوزرات الرخامية، وسجل اسمه بخط الثلث داخل أحدى القباب التي تقع غرب المنبر على حدّ المسجد من جهة القبلة [٣].

وفي عهد السلطان العثماني مراد الثالث (٩٨٢-١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٥م) أكتملت أعمال واستمرت الأعمال التي احتاجها المسجد النبوي الشريف، ففي عام ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م أصلح التلف والخراب بالأجزاء القريبة من باب النساء.

وفي عام ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م تم تجديد رخام الروضة الشريفة، كما قام هذا السلطان بإرسال الخلع والمنح السخية إلى البنائين والعمال وأعيان المدينة لحماية المسجد الشريف من مخاطر الزلازل التي أصابت المدينة المنورة[٤].

(١) لمعي: المدينة المنورةص ٨٩
(٢) الشهري، محمدبن هزاع :المسجد النبوي الشريف في العصرالعثماني- القاهرة ٢٠٠٣- ص ٣١
(٣) رفعت: مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٦٥
(٤) الشهري المسجدالنبوي ص ٣٧

وفي عام ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م قام السلطان مراد الثالث بتجديد الروضة الشريفة ووضع منبر رخامي بديع الصنع على يمين المحراب النبوي على غرار المنابر الرخامية العثمانية في استانبول وتركيا عليه كتابات قرآنية وأبيات من الشعر ثم التأريخ بحساب الجُمل بالإضافة إلى اسم وألقاب السلطان مراد بن سليم[١].

وفي عهد السلطان محمد الثالث (١٠٠٣-١٠١٢هـ/ ١٥٩٤-١٦٠٣م) لم تحدث تجديدات على المسجد النبوي الشريف، مما يؤكد متانة الأعمال والتجديدات التي قام بها والده وأجداده من قبل، واقتصرت خدماته على إرسال الصدقات وبعض المنسوجات الثمينة[٢].

فقد أنشأ سبيل من الرخام مزود بفسقية قرب باب الرحمة، كما أهدى السلطان المسجد لوحة من الفضة ثبت على المقصورة النبوية بالجهة الجنوبية مؤرخ في سنة ١٠٢٦هـ [٣]، كما أرسل خمسة آلاف من الذهب لفقراء الحرمين الشريفين، والكثير من الصدقات النقدية والعينية لأهل المدينة المنورة [٤]. وفي عهد السلطان العثماني مراد الرابع١٠٣٢- ١٠٤٩هـ/ ١٦٢٢-١٦٣٩م، أعيد تجديد وترميم المسجد النبوي الشريف من جديد، حيث أزداد هذا السلطان ظلة القبة بثلاث بائكات مما يلي الصحن، وسقفت بالقباب الصغيرة، كما قام بوضع مجموعة من البلاطات الخزفية الجميلة الزخرفة داخل الحجرة النبوية المشرفة بدلاً من الوزرات الرخامية التي قام بعملها السلطان المملوكي قايتباي من قبل[٥]. أما السلطان محمد الرابع بن إبراهيم خان ١٠٥٨-١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٧م فإن من أهم أعماله في المسجد تلك التجديدات التي كلف بها أحمد باشا والي مصر هدم وإعادة بناء مئذنة باب السلام والتي صارت قمتها مدببة على غرار المآذن

(١) لمعي: المدينة المنورة: ص ١٢٣
(٢) الشهري: المسجدالنبوي ص ٤٤
(٣) الشهبندر، عبد الغني: رحلة الحجاز – بيروت ١٩٧٣ ص ٣٧
(٤) دحلان، أحمد زيني : رسائل في فضائل العثمانيين وحسناتهم وعمائرهم - مكة المكرمة ١٣٠٣ هـ ص ١٢٢
(٥) صبري،أيوب: مرآة الحرمين القسطنطينية ١٣٠٤ هـ ج ٢ ص ٧٣١.

العثمانية[١]. وفي عام ١١١١هـ/ ١٦٩٩م قام السلطان العثماني مصطفى الثاني بتجديد سقف المسجد خاصة التالف منها، وإعادة تجديد حوالي ١٢ عموداً من الرخام، كما قام بتجديد منطقة الروضة الشريفة، وفرش أرضية الحجرة النبوية المشرفة بالرخام[٢].

كذلك جدد السلطان أحمد الثالث في عام ١١٣٢هـ/ ١٧١٩م الحجرة النبوية المشرفة، وجدد أيضاً سقف الظلة الجنوبية الغربية للمسجد وتغيير ١٢ عموداً بها[٣]

وقام السلطان محمود الأول (١١٤٣- ١١٦٨هـ/ ١٧٣٠-١٧٥٤م) بتجديد وترميم أجزاء كبيرة من الأسقف الخشبية بالمسجد، وفي عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م قام بإضافة بائكة بجهة القبلة وسقفها بالقباب الصغيرة، كما أحدث مجموعة من النوافذ العلوية بجدار القبلة[٤]

وفي عهد السلطان عثمان الثالث (١١٦٨-١١٧١هـ/ ١٧٥٤-١٧٥٧م) أجريت بعض الإصلاحات القليلة في المسجد النبوي الشريف، حيث قام بتجديد بعض أسقف المسجد وكلف والي مصر بإعداد المواد اللازمة في ذلك وإرسالها إلى المدينة المنورة وثبت ذلك من خلال نص كتابي بالخط الثلث تضمن اسم وألقاب هذا السلطان وعام التجديد[٥].

وفي عهد السلطان عبد الحميد الأول (١١٨٧-١٢٠٣هـ/ ١٧٧٣-١٧٨٨م) أجريت عمارة في المسجد النبوي الشريف نتيجة لمواضع متعددة آل إلى التهدم والسقوط، فقام هذا السلطان بعمل أرضية المسجد بالرخام من باب السلام حتى المواجهة الشريفة، وتلبيس جدار القبلة بالبلاطات الخزفية من باب السلام حتى باب المئذنة الرئيسية، وتكسية أعمدة الصف الأول بالروضة الشريفة بألواح من الرخام[٦]

(١) صبري: مرآة الحرمين ج ٢ ص ٧٣٩.
(٢) صبري: مرآة الحرمين ج ٢ ص ٧٤٦
(٣) لمعي: المدينةالمنورة ص ٨٩
(٤) صبري: مرآة الحرمين ج ٢ ص ٨٣٣
(٥) صبري: مرآة الحرمين ج ٢ ص ٧٥٤
(٦) الشهبندر: رحلة الحجاز ص ٣٧

وفي عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م جدد باب الرحمة وباب جبريل، وفي عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) حظى المسجد النبوي باهتمام وعناية هذا السلطان خاصة القبة النبوية المشرفة، حيث أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر بعد هدمها بسبب ما تعرضت لشروخ كبيرة وإعادة بناءها من جديد ومن سمى سميت بالقبة الخضراء، كذلك عملت أرضيات رخامية بالجناح الشمالي للمسجد، كما جددت الجدران والأبواب وزينت بالنقوش خاصة باب جبريل، كذلك عملت تكسية من البلاطات الخزفية لجدران الحجرة النبوية من الداخل[١].

وبعد هذه التجديدات السابقة يتضح أن المسجد صار عبارة عن مساحة مستطيلة، يتكون من صحن أوسط مكشوف يحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة التي تتكون من عشر بائكات أي بزيادة ثلاثة عما كان عليه بعد عمارة السلطان المملوكي قايتباي، أما الظلة الغربية فتتكون من أربع بائكات، وثلاثة بالجهة الشمالية ومثلها بالشرقية، عقودها مدببة محمولة على أعمدة معظمها مكسوة بطبقة من الرخام الأبيض خاصة أعمدة الروضة الشريفة ومقامة عليها سقف من القباب الضحلة (الصغيرة)، والجدران مدهونة باللون الأبيض، ما عدا جدار القبلة فغطيت بالرخام، كذلك فرشت الأرضية بالرخام والفسيفساء الرخامية، وأقيمت وفتحت على الجدران من أعلى نوافذ كبيرة بالزجاج الملون خاصة ظلة القبلة، بينما كانت هناك نوافذ صغيرة بدون زجاج ملون بالجدران الثلاثة الأخرى، أما الصحن فكان مفروشاً بالرمل وفي وسطه مبنى صغير يعرف بقبة الذخائر لحفظ أدوات ووسائل الإضاءة الخاصة بالمسجد، كما كان للمسجد أربعة أبواب رئيسية هي باب السلام، باب الرحمة، وباب

جبريل، وباب النساء، وكانت هناك مئذنة بالركن الشمالي الغربي، ومئذنة باب السلام، ومئذنة باب الرحمة، كما أحتوى المسجد الشريف على ٣١٢ عموداً بتيجان مختلفة الأحجام[٢].

(١) لمعي: المدينة المنورة: ص ٩٠
(٢) لمعي: المدينةالمنورة ص ٩٢

وفي عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م حدثت عمارة كبيرة للمسجد النبوي الشريف قام بها السلطان عبد المجيد في أواخر العصر العثماني، غير من شكل والمسقط الأفقي للمسجد، فقط حافظ هذا السلطان على السياسة التي اتبعها أبائه وأجداده منذ عهد السلطان سليمان القانوني في الاهتمام بتجديد وعمارة المسجد، حيث كتب شيخ المسجد النبوي الشريف داود باشا إلى السلطان عبد المجيد يخبره باحتياج المسجد لتجديدات وعمارة هامة، حتى آل كثير منه إلى التخريب فأرسل السلطان من قبله من استبان الحقيقة، وتعرف على حال المسجد، ونبأه به، وهو المهندس رمزي أفندي الذي أمره بعمارة المسجد، فتم إحضار الأحجار من هضاب بوادي العقيق، وكلما نقضوا جزءاً قديماً أقيم مكانه جديد[١].

وقد تناولت هذه العمارة المسجد كله اللهم بعض المواضع التي احتفظت بمتانتها نتيجة للتجديدات العثمانية السابقة مثل المحراب العثماني لإتقانه وحسن صنعه، فقد تم تغيير الأعمدة القديمة بأخرى أكثرها قطعة واحدة خاصة من الرخام، ولها قواعد مربعة وتيجان متنوعة الأشكال يعلوها عقود من الحجر المشهر (الأحمر المنحوت)، يعلوها قباب ضحلة (صغيرة)، وأقيمت على الجدار من أعلى نوافذ من الجص معشق بالزجاج الملون، ووسعت الظلات الشمالية والشرقية والغربية،

وأضيفت بالجهة الشمالية بائكاتان، وكذلك في الجهة الشرقية، وبالجهة الغربية ثلاث بائكات، ولم توسع جهة القبلة التي تحاذي الصحن، وإنما أضيفت إليها بائكاتان مما يلي الصحن، وتوسيع الجدار الشرقي من المئذنة الرئيسية إلى باب جبريل، وتم توسيع المسافة بين المقصورة وجدارها، وإعادة بناء باب جبريل وباب السلام بشكل فخم وتم بناء قبة كبيرة اما باب السلام[٢].

وكان بالجهة الشمالية من المسجد مخزن ومخبز ودور، هدمت جميعها وبنى مكانها مساحتان بكل منها أربع حجرات، الشرقية منها عملت مكتباً والغربية

(١) رفعت: مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٦٣
(٢) رفعت: مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٦٦

مخزنـاً، وتم بنـاء المئذنة المجيدية نسبة للسلطان عبد المجيـد، وتم هدم القبة التي كانـت تستخدم لحفظ أدوات ووسائـل الإضاءة لتلوثها للمسجـد، واستعيض عنها بالمخـزن الشمالي الغربي، كمـا تم بناء محراب على يمين الداخل من باب النساء، وجعـل جزءاً من الظلة الشرقية مصلى للنساء، وبعـد هذه التجديدات والتوسعات فرشـت أرضيـة المسجد كله بالرخـام والنصف الأسفل من جـدار القبلة، ونقشت القباب بزخارف نباتية وهندسية وكتابية تتضمن آيات قرآنية، كما تم أعادة تذهيب المحراب والمنبر العثماني، وانتهت هذه الأعمال عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م[١].لقد أصبح المسجد النبوي الشريف بعد عمارة السلطان عبد المجيد يتكون من مساحة مستطيلة طولـه من الشمالي إلى الجنوب ١١٦,٢٥ متراً وعرضه من جهة القبلة (الجنوبية) ٨٦,٢٥ مـتراً، ومـن الجهة الشماليـة (الشامية) ٦٦ متراً، يتوسطـه صحن أوسط مكشوف يحيط به أربع ظلات، الجنوبية تتكون من ١٢ بائكة والغربية ثلاث بائكات، وبالجهـة الشرقية بائكتـان، والجهة الشماليـة ثلاث بائكات، وعـدد الأعمدة ٣٢٠ عمودا وسقف الظـلات من القباب الصغيرة، وللمسجد خمسة أبواب اثنان بالجهة الغربيـة هما باب السلام، وباب الرحمة وإثنان بالجهـة الشرقية هما باب النساء، وباب جبريل، وباب واحد في الجهة الشمالية أنشأه السلطان عبد المجيد.

وكان للمسجـد خمس مـآذن في كل ركـن من أركانـه مئذنة وهـي مئذنة باب السـلام بالركن الجنوبـي الغربـي، والمئذنة الرئيسيـة بالركن الجنوبـي الغربي، والمئذنـة السليمانية بالركن الشمالي الشرقي، والمئذنـة المجيدية بالركن الشمالي الغربي، ومئذنة باب الرحمة بالضلع الغربي للمسجد، وجميع هذه المآذن على طراز المآذن العثمانية ذات القمة المخروطية المدببة[٢].

وللمسجـد ستة محاريب، واحد بالروضـة الشريفة على يسار المنبر، والمحراب السليمـاني إلى الغـرب من المحـراب النبوي، والمحـراب العثماني خلـف المحراب النبوي، ومحراب التهجد إلى الشمال من حجرة فاطمة خارج المقصورة، ومحراب

(١) رفعت: مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٦٨
(٢) رفعت: مرآة الحرمين ج ١ ص٤٧١

فاطمة جنوب محراب التهجد، والمحراب السادس على يمين الداخل من باب النساء ويرجع إلى عمارة وتجديدات السلطان عبد المجيد.

وللمسجد النبوي الشريف منبر من الرخام، وظاهره مغمور بالتذهيب والنقوش البديعة يرجع إلى السلطان مراد الذي أرسله إلى المسجد سنة ٩٩٨هـ، وهو لا يزال موجوداً إلى الآن، وعلى بعد خمسة أمتار منه توجد دكة المبلغ وهي من الرخام أيضاً مقامة على ثمانية أعمدة وشيقة، وستة منها محلاة بصبغ أحمر عقيقي وأثنان أبيضان[١].

وفي عهد السلطان عبد العزيز (١٢٧٧-١٢٩٣هـ/ ١٨٦١-١٨٧٦م) حدثت تجديدات أخرى للمسجد النبوي الشريف، حيث أقيمت أمام باب السلام صالة تفتح على الواجهة من خلال عقد ذو حدوة الفرس وغطى جانباً المدخل الجنوبي والشمالي ببلاط من الخزف المزين برسوم نباتية باللون الأزرق، وتوجت الواجهة بزخارف نباتية على هيئة خطوط منحنية على نمط الزخارف المعروفة في فن الباروك الذي انتشر على العمارة العثمانية في تلك الفترة.

ومن الأعمال المعمارية التي قام بها هذا السلطان تجديد المئذنة السليمانية عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م حيث مال جزؤها العلوي، فتقرر بعد فحصها، إعادة بناؤها خوفاً من سقوطها على الناس[٢].

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٩م) أقيمت ترميمات وإصلاحات بالمسجد، تضمنت إصلاح التالف من شبابيك القبة الشريفة وإصلاح بعض أعمدتها وعقودها، وفي عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م أعيد بناء الميضأة بصحن المسجد، كما أجريت بعض من أعمال التجديد والترميم بعد ذلك في المسجد خاصة في المحراب النبوي والمحراب السليماني.

(١) لمعي: المدينة المنورة ص ٩٦.
(٢) الشهري: المسجد النبوي: ص ١٣٨

قائمة المصادر والمراجع

١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت ١٣٧٧هـ.

٢. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي، رحلة ابن جبير، تقديم محمد مصطفى زيادة، بيروت، ١٣٨٤هـ.

٣. دحلان، أحمد زيني، رسائل في فضائل العثمانيين وحسناتهم وعمائرهم، مكة المكرمة، ١٣٠٣هـ.

٤. رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين، جزآن، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٤٤هـ.

٥. الرومي، محمد خضر الرومي، التحفة اللطيفة، نشر حمد الجاسر، رسائل، الرياض، ١٩٧٢م.

٦. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ثلاثة أجزاء، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٩٧٩م.

٧. السمهودي، جمال الدين أبو المحاسن عبد الله بن شهاب الدين بن العباس بن أحمد الحسيني الشافعي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

٨. الشهبندر، عبد الغني، رحلة الحجاز، بيروت، ١٩٣٧م.

٩. الشهري، محمد هزاع، المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني، ٩٢٣-١٣٤٤هـ، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٠. الشهري، محمد هزاع، عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، القاهرة، ٢٠٠١م.

١١. صبري، أيوب، مرآة الحرمين، ج١، ج٢، القسطنطينية، ١٣٠٤هـ.

١٢. ابن الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت ٩٠٠هـ)، أبناء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٣. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٣٧٢هـ.

١٤. ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري الحنفي (ت ٨٠٧هـ)، تاريخ الدول والملوك، ص٨، ص٩، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

١٥. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٦. ماهر، سعاد، مساجد مضر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٧١م.

١٧. المراغي، زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي (ت ٨١٦هـ)، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، المدينة المنورة، ١٣٧٤هـ.

١٨. المطري، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ)، التعريف بما أنسب الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق عبد المحسن الخيال، دمشق، ١٣٧٢هـ.

١٩. لمعي، صالح، المدينة المنورة، تطورها العمراني وتراثها المعماري، بيروت، ١٩٨١م.

آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤ــ٨٥٩ق.م) الفاتح - الإداري - البناء

د. سلطان أحمد الغامدي
أستاذ مساعد - جامعة أم القرى

ملخص البحث

يعتبر آشور ناصر بال الثاني من أشهر الملوك في عصر الإمبراطورية الآشورية الحديثة ، فقد تولى الحكم بعد وفاة والده توكلتي نينورتا الثاني ، وقد سار على نهج الملوك السابقين في اضفاء قدسية الآلهة على نفسه وفترة حكمه ، كما اشتهر عهده بتطوير شامل واستحداث للأنظمة العسكرية الآشورية ، والقيام بالعديد من الفتوحات حتى أصبحت الدولة الآشورية تمتد من بلاد عيلام شرقاً ، حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط غرباً ، وقد كانت الإمبراطورية الآشورية في عهد آشور ناصر بال الثاني من أقوى الدول في الشرق الأدنى القديم ، حيث كانت جميع الدول تهابها ، وتخشى من عواقب التمرد أو مواجهة القوة الآشورية ، فقد عُرف عنها آنذاك استخدام أساليب قتالية أكثر وحشية ضد الخصوم .

تميز عهد آشور ناصر بال الثاني أيضاً بإنجازات حضارية متعددة ، منها بناء المدن وتطوير البعض الآخر ، وبناء الأسوار والتحصينات وغيرها ، كما شهد عهده تطوير أنظمة التجارة والزراعة والبريد وحكم الأقاليم ، كما تأثرت وأثرت الحضارة الآشورية بالحضارات المجاورة كالحضارة في سوريا وعيلام وبلاد الأناضول وغيرها .

Abstract

Ashur-Nasir-Pal II is considered one of the most famous kings of the modern Assyrian Empire. He assumed power after the death of his father Tukulti-Ninurta II. He drew on the former kings in establishing the sanctity of the gods over himself and his reign. His reign was known for the comprehensive development of the Assyrian military systems and for many conquests until the Assyrian state extended from the land of Elam in the east to the Mediterranean coast in the west. The Assyrian Empire under Ashur-Nasir-Pal II was the second most powerful in the ancient Near East, where all countries fear it, and fear the consequences of the rebellion or confrontation with the Assyrian power. It was then known to use more brutal fighting methods against opponents.

The Ashur-Nasir-Pal II reign was also characterized by many cultural achievements, including the building of cities and the development of others, the construction of walls and fortifications and others. His reign also witnessed the development of the systems of trade, agriculture, post and territorial rule. Assyrian civilization was also influenced by neighboring civilizations such as civilization in Syria, Elam, Anatolia and others as well as having impact on them.

المقدمة :

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، جدد الله به رسالة السماء ، وأحياء ببعثته سنة الأنبياء ، ونشر بدعوته آيات الهداية ، وأتم به مكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه الذين فقههم الله في دينه ، فدعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهدى الله بهم العباد وفتح على أيديهم البلاد ، وجعلهم أمة يهدون بالحق إلى الحق تحقيقا لسابق وعده : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) فشكروا ربهم على ما هداهم إليه من هداية

خلقه ، والشفقة على عباده، وجعلوا مظهر شكرهم بذل النفس والنفيس في الدعوة إلى الله تعالى..... وبعد:

يُعتبر الملك أشور ناصر بال الثاني أحد أبرز حكام بلاد الرافدين خلال العهد الأشوري الحديث ، فقد كان عهده مليء بالأحداث السياسية والعسكرية والحضارية.

حرص آشور ناصر بال الثاني على توسيع حدود دولته ، والسيطرة على مناطق امتدت من بلاد عيلام شرقاً ، حتى البحر المتوسط غرباً ، فأخضع العديد من الأقوام ، وسيطر على العديد من الخيرات والثروات ، وهو ما انعكس بدوره على الإمبراطورية الآشورية آنذاك ، فأصبحت من أقوى الدول وأكثرها ثراءً .

كما عمل على تقوية جيش الإمبراطورية ، وتوفير كل ما يحتاجه أفراد الجيش ، وابتكار أسلحة ومعدات لم تكن معروفة من قبل ، كما استخدم أساليب قتالية جعلت خصومه يهابونه ويتجنبون الاصطدام بجيشه .

حرص آشور ناصر بال الثاني على الاستفادة من خبرات الأقوام الذين خضعوا لسلطانه ، في بناء المدن والأسوار والبساتين في كل انحاء الإمبراطورية ، وهو مادونه الباحث بالتفصيل .

أما المصادر والمراجع فقد اعتمد الباحث على عدد من الكتب والأبحاث والرسائل العلمية ، التي أسهبت في الحديث عن عهد الملك آشور ناصر بال الثاني، وقد جمعها الباحث بقائمة في آخر هذا البحث.

ومن هنا جاءت الرغبة في كتابة هذا البحث المتواضع آمل أن يحوز على رضاكم واستحسانكم وبالله التوفيق...

التمهيد :

يعتبر آشور ناصر بال الثاني أبرز شخصية آشورية[١] محاربة في عصر الدولة الأشورية الحديث[٢]، وقد جاء على عرش آشور خلفاً لأبيه توكلتي - نينورتا الثاني[٣] ، باعتباره الأبن الأكبر له[٤] ، ولذلك بعد وفاة والده ارتدى الثياب الملكية

(١) الآشوريون في الأصل فرع من الأقوام السامية التي هاجرت من مهد الساميين الأصلي وهو جزيرة العرب على ما يقول به الباحثين ، ويقع الإقليم الآشوري على طول دجلة من خط عرض ٣٧درجة شمالاً حتى مصبه جنوباً على صورة مثلث يحصره دجلة و الزاب الأعلى و الزاب السفلي ، وتحاده من الشمال و الشرق جبال عالية و هضاب و أراضي تتخللها النجاد و الأغوار ، فهي ليست أرضاً منبسطة ، بل هي بلاد ذات طبقة جبلية في أغلب الأمر تحصر بينها الرقعة الخصبة التي تمثل وديان الأنهار ، وهذه الرقعة الخصبة من الأراضي صالحة للزراعة ، وكان وجود الجبال من ناحية الشمال و الشرق بمثابة حدود طبيعية للأقليم ، أما في الجنوب و الغرب فالطريق مفتوح ، إلى الجنوب بغير حدود طبيعية حتى الخليج العربي ، و إلى الغرب حتى الفرات و روافده و ما ورائه ، ومن ثم فالحدود السياسية جنوباً و غرباً خاضعة لمدى التوسع الاستعماري فهي تتقلص مرة و تمتد مرة أخرى تبعاً لمدى السلطان السياسي للإقليم . أحمد أمين سليم : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ٣١٣-٣١٤.

(٢) . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم -مصر و العراق - ، د:ط ، ١٩٨٠م ، ص ٥٠٤. تميز العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م) بتصاعد القوة العسكرية للآشوريين ، و أصبحت بلاد آشور من أعاظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم ، وقسمت هذه الفترة لمرحلتين : الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١-٧٤٤ق.م) والإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٥-٦١٢ق.م) ، وسجل هذا العصر عموماً كثرة الأعمال العسكرية ، وتصاعد قسوتها ، وانفجار أحداث داخلية متواصلة امتدت حتى قلب المملكة ، وداخل العائلة المالكة ذاتها ، كما وصادف قيام الإمبراطورية انتشار استعمال معدن الحديد في الشرق الأدنى ، فاستغله الآشوريون في بناء أضخم جهاز حربي عرفه العالم القديم ، وصنعوا منه أسلحتهم الهجومية الفتاكة. عبدالوهاب حميد رشيد : حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - ، دار المدى للثقافة و النشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص ٧٢ .

(٣) جاء توكلتي نينورتا الثاني على عرش آشور بعد وفاة والده أداد نيراري الثاني (٩١١-٨٩١ ق.م) وعلى الرغم من فترة حكمه القصيرة التي لم تمكنه من مد رقعة المملكة الآشورية أبعد مما كانت عليه في عهد أبيه ، إلا أن بعض أعماله المعمارية قد وصلت الينا أخبارها منها بناؤه أسوار العاصمة آشور ، وتكرار الحملات الحربية إلى الجهات الشمالية الغربية على المناطق أو المستوطنات الآرامية ، وقد دونت أخبار هذه الحملة في حولياته تدويناً مفصلاً ، ولما توفي الملك توكلتي ننورتا الثاني في العام ٨٨٤ ق.م كانت تخوم الإمبراطورية الآشورية موطدة و مستقرة من شمالي العراق إلى جميع أطراف ما بين النهرين العليا و إلى جبال زاجروس شرقاً. طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الوراق للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩م ، ٥٤٩-٥٥٠ .

(٤) تشير جميع الشواهد التاريخية إلى شيوع تفضيل الإبن الأكبر على بقية الأخوة في العهد الآشوري ، لأنه الأكبر سناً والأرشد عقلاً ، وهو القادر على حمل السلاح للدفاع عن شرف العائلة واسمها ومركزها ، لذلك غالباً ما نجد الملوكية تنتقل إلى الابن الأكبر بعد وفاة الملك ، إلا أنه في العصر الآشوري الحديث شذ عنها كل من الملك سنحاريب وأسرحدون ، حيث قاما بتعين أولادهما الأصغر سناً لولاية العهد . للمزيد راجع رضا جواد الهاشمي : نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، بغداد ، ١٩٧١م ، ص١٤٧-١٤٨ ؛ راجع Lawy , H . , "Nitokris Nagia" , JNES 11 , No 4 (1952) , p 277.

، وتقلد الشارات الملكية ، مثل التاج والعصا والصولجان ، ليجلس على العرش برفقة زوجته التي تحمل لقب ملكة القصر ، كما حرص على أن يتبع سياسة الملوك الآشوريين ، وهو الادعاء بأنهم منتخبون من قبل الآلهة ، وذلك لإسناد حكمهم بقدسية دينية ، لضمان الولاء التام لهم[١] ، فقد أدعى الملك آشور ناصر بال الثاني بأن الآلهة عشتار قد اختارته ورغبت في أن تراه حاكماً[٢] ، ويعني اسمه أي أشور ناصر بال الثاني (الإله آشور يحمي ولده ووريثه)[٣] ، وقد جمع هذا الملك في شخصه السلطات الزمنية والدينية باعتباره الحاكم المطلق والكاهن الأعلى كبقية الملوك الآشوريين ، حيث عُد مصدر الشرائع ، باعتباره منفذاً لإرادة الآلهة[٤] ، وهو المسؤول عن إرادة الدولة[٥] ، وأن رفاهية البلاد وأمنها وسلامتها واستقرارها تعتمد بشكل كبير على سلامة وأمن الملك ، لذا رأى السكان الآشوريين أن أي خطر

(١) أزهار هاشم شيث : الدعاية والاعلام في العصر الآشوري الحديث ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠م ، ص٣١. اعتقد سكان الإمبراطورية الآشورية أن النظام الملكي هو نظام إلهي مقدس يحكم الآلهة نفسها ، وقد وجد هذا النظام منذ الأزل أي قبل أن يوجد من يمارسها على الأرض فهي كانت موجودة في السماء ومع وجود الآلهة ، لذا كان الإله انليل أول من تقلد الملكية ، والآلهة عندما خلقت البشر قررت أن تهب البشر نظاماً إلهياً لإدارة شؤونه ، لذا نظر للملكية باحترام وتقديس ، لتصورهم أن ليس بإمكان الإنسان العيش من دون حاكم ، ولا يمكن أن تعم الطمأنينة والسلام والعدالة في المجتمع دون وجود حاكم يحميه ، لذا فإن الملكية أساس النظام والتمدن .
أنزلت الملكية من السماء واختارت من بين جموع البشر من يمثلها على الأرض ، وكانت توصي بقرارها بانتخاب الملك بطرق شتى من خلال إله المدينة الحامي ، لأن السلطة السياسية ذاتها لم تكن سوى تعبير عن إرادة إلهية وأنموذج هذه السلطة هي الملكية . للمزيد راجع يوسف الحوراني : البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص٣٧٢ ؛ راجع فاضل عبدالواحد علي وعامر سليمان : عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص٤٩ ؛ راجع خالد موسى عبد الحسيني : القانون و إدارة الدولة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م ، ص٧٨.

(٢) محمد صالح طيب الزيباري : النظام الملكي في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩م ، ص٧٨.

(٣) محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٤١٠هـ___١٩٩٠م ، ص ٣٦٣ .

(٤) جورج رو : العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٤م ، ص٢٣٧.

(5) Stremlin , B . , Constructing a multiparadigm history : Civilizations Ecumenes and world _systems in the Ancient Near East , New york , 2006 , p604.

يتهـدده هـو بمثابة تهديد لأمـن وسلامة البـلاد كلها[١] ، ومن أجـل الحفاظ على حياته فقد أحيط الملك آشور ناصر بال الثاني بالكهنة والعرافين ، لتفسير علامات الشؤم والتنبؤ بالخطر قبل وقوعه[٢] ، وعندما يشير الطالع والنذير إلى اقتراب أي خطر يهدد حياة الملك ، كان لابد من اتخاذ اجراءات معينة لحماية الملك ، وايجاد الوسيلـة للإبقـاء على حياته المرتبطـة بمستقبل البلاد[٣] ، وقـد كان جهاز الدولة مـن كبار الموظفين وصغارهم مدنيين وعسكريين خدم الملك العظيم ، الذي يستمد سلطته من الإله آشور وبقية الآلهة العظام[٤].

شخصية الملك آشور ناصر بال الثاني :

جمع الملك آشور ناصر بال الثاني الصفات النموذجية للملك الآشوري العسكري ، والفـاتح القاسـي و الإداري المنظم و البناء الكبـير ، فتسجيلاته ضخمة وحجمها يعكس انجازات هذا الملك ، وتجعله هو المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الآشورية ، فقـد كان طموحاً وشجاعاً ومتغطرساً ومجدداً وظالماً في كثير من الأوقات[٥] ، وتشير ملامحه المعبر عنها في تماثيله التي وجدت في نمرود (كالح القديمة) إلى شخصية قويـة حازمة و قاسية[٦] ، فلا نرى أي ظـل لابتسامة ولا حتى أية مسحة انسانية ، بل نجـد انفسنا أمام تمثال صارم لعاهل متجبر ذي أنـف يشبه منقار النسر ، وأعين تتبدى عن نظرة مباشرة فاحصة لرئيس يتوقع من رعاياه طاعة مطلقة ، وفي يديه الرمح والصولجان[٧] ، وقد ورث أشور ناصر بال الثاني عن أسلافه الاقربين جيشاً محنـكاً ، كما ثبت سنةُ هو وخلفـاؤه من بعده وهي (اضرب قبل أن تضرب وهاجم

(١) رياض عبد الرحمن أمين الدوري : آشور بانيبال ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٥٣.
(٢) ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق ، بغداد ، ١٩٨٦م ، ص١٢٣.
(٣) أزهار هاشم شيث : المرجع السابق ، ص٣٧.
(٤) نيكولاس بوستغيث : حضارة العراق وآثاره (تاريخ مصور) ، بغداد ، ١٩٩٢م ، ص٢٥.
(٥) جورج رو : المرجع السابق ، ص٣٨٨.
(٦) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .
(٧) جورج رو : المرجع السابق ، ص٣٨٨.

قبل أن تهاجم واجعل تنكيلك بأقرب خصومك عبرة يخشاها بقية أعدائك)[١] ، وقد تركزت سياسة آشور ناصر بال الثاني بوجه عام حول تثبيت السيادة الآشورية على المناطق التي تم فتحها في عهد سلفيه ، عن طريق استمرار دفعها للجزية[٢] .

شغل آشور ناصر بال الثاني حكمه بعدد من الحملات في الشرق و الغرب لتوسيع حدود دولته وتوطيد حكمه ، وقد سجل أعماله الحربية في لون من الزهو و المبالغة أحياناً ، وهي سنةً بدأها والده و اتبعها ملوك آشور بعد ذلك[٣] ، فلقد عثر على الكثير من أخبار أشور ناصر الثاني العسكرية في مدينة نمرود (كالح القديمة) ، و التي أعاد بنائها من جديد - وهو ما سوف نتحدث عنه لاحقا- وعلى أية حال فإن هذه الأخبار العسكرية تدل على القسوة التي اشتهرت بها حروب الأشوريون بصفة عامة و الملك آشور ناصر بال الثاني بصفة خاصة ضد خصومهم ، فقد كتب مؤرخه يصف مثلا سقوط مدينة كينابو (في الطرف الغربي من جبال كاشياري[طور عابدين] حالياً) التي كان يحكمها (هولاي) "لقد قتلت ٦٠٠ من العساكر بحد السيف وأحرقت بالنار ثلاثة ألأف أسير ولم أبق على احد رقحتى صارت في علوها وكأنها برج وأحرقت فتيتهم بالنار وأما الملك فلقد سلختهً وعلقت جلده على جدار مدينة دامداموسا و أما المدينة نفسها فقد دمرتها و أحرقتها بالنار"[٤]

ويعتقد الباحث أن هذا الأسلوب الذي اتبعه أشور ناصر بال الثاني ، ومن جاء بعده من الملوك الآشوريون ، وهو أسلوب القتل والتعذيب ، قد طُبق على بعض القرى أو المدن التي استعصت على الجيش الأشوري فتحها ، أو رفضت أن تسمح للجيش الأشوري بالمرور على أراضيها ، وذلك حتى تكون عبرة لبقية المدن أو القرى الأخرى .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٠٤- ٥٠٥ .
(٢) وليد محمد صالح فرحان : العلاقات السياسية للدولة الآشورية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦م ، ص٧٤.
(٣) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، ص ٣٢١ .
(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ــــ ٣٦٤ .

أفـزع ذلك شعوب الشرق الأدنى بعد انتشار أنباء قسوة آشور ناصر بال الثاني في كل الأصقـاع ، ولم تكن المثل الإنسانية في الحروب معروفة وقتذاك ، وكان يكفي لفرض الاحـترام والطاعة على الاتباع أن تروج بعض الأمثلـة بواسطة المدونات أو الصـور في مناطق مختلفة ، كان ذلـك ديدن كل الفاتحين الكبار في التاريخ القديم ، فقـد اتبعوا سياسـة الارهاب ، ولم يكنِ الآشوريون استثنـاء منهم ، غير أن آشور ناصـر بال الثاني خالف كل أولئك جميعاً ، فلـم يكتفي بقتل الحكام العصاة وسلخ ونـثر جلودهـم على أسوار المدن ، بـل كان يأمر بتعذيب السجنـاء الأسرى العزل ، والمدنيين الأبرياء نساءً ورجالاً وأطفالاً[١] .

القوة العسكرية في عهد آشور ناصر بال الثاني :

استهـل آشور ناصرِ بال الثاني عهده بتجديد شامل للنظم العسكرية[٢] ، فكون جيشـاً جديداً ومتطوراً[٣] ، شكل فيه سلاح المشاة من الجنود الاشوريون[٤] ، بينما

(١) . جورج رو : المرجع السابق ، ص٣٩١.

(٢) . لم يكـن جيش آشور العظيم عبارة عن قطيع من الفلاحـين المتعطشين لسفك الدماء تدعمها قوة من الفرسـان الرهيبـين ، الذين لاهم لديهم سوى الغنائـم كما تذكر بعض الروايـات التاريخية ، ولكن في الحقيقـة كان الجيش منظمة معقـدة ، تظم وحدات متخصصـة من عدة أنـواع ، وكان نواتها الجيش المرابـط . هـاري ساغز : عظمة آشور ، ترجمة خالـد عيسى وأحمد غسان ، دار رسلان ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص٣٦٥-٣٦٦.

(٣) كان الجيش الآشـوري يتشـكل من أهل الولايـات والمقاطعات والأقاليـم التابعة لهـم ، إذ كان على كل وال أو حاكـم أن يجهـز الجيش الآشوري بعدد مـن الجند المزودين بالسلاح ، واختصـت كل ولاية أو مقاطعة أو إقليم بإمداد الجيش الآشوري بصنف معين من المحاربين ، أما الآشوريين من طبقة الأحرار فظلـوا يدعون إلى الخدمة العسكرية في الجيش الآشوري ، ولكن كانوا يرفدون قوات الملك بعبيدهم بعد أن يجهزونهـم بالسـلاح وعدة الحرب . عبدالعزيـز الياس سلطان : عوامل أساسيـة أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية ، دراسات موصلية ، عدد ٢٩ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ص٨٣.

(٤) كان الجيش الآشوري يضم المشاة بالدرجة الأساس وهو على قسمين :
١/ المشـاة بالأسلحة الخفيفة : وهم المشاة الذين يحملـون بأيديهم الأسلحة الخفيفة كالسهام والرماح والمقالع ولباسهم الجلباب القصير.
٢/ المشـاة بالأسلحـة الثقيلـة : وهم المشـاة الذين يحملون بأيديهـم سيوفاً قصيرة أو فؤوسـاً أو دبابيس ، ومنهم الرماحة الذين كانوا ينتعلون الجزمة النصفية ، التي تغطي أسفل الساق ، ويحمون انفسهم بارتداء الزرد ، ويحملون تروساً مستطيلة ، قد تكون أطول من الجندي في بعض الحالات ، بينما يلبس رماة السهام والرماحة على رؤوسهم قبعات مخروطية الشكل ، ذات عرف أو ريشة على غرار خوذة المحارب الاغريقي ، ويحملون الرايات والملابس الملونة حسب القطعات أو الصنوف. فاضل عبدالواحد علي وآخرون : العراق في التاريخ ، بغداد ، ص١٤٠ ؛ راجع طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٥٣٨.

اعتمد سلاح العربات[١] على حد كبير على فرسان من الحلفاء[٢] ، وعن طريق هذين السلاحين انبثق فن حصار المدن والذي تتطلب تزويد الجيش بآلات حربية أشبه بالدبابات في الجيوش الحديثة ، الأمر الذي لم يصل إليه من قبل شعب آخر في المنطقة ، وقد اعتمد تصميم هذه الآلات أساساً على معول لهدم الأسوار فهو أشبه ما يكون بالمدفع ، وقد ثُبت في هيكل مُغطى بمواد مختلفة وقد وضع هيكلها بأكمله فوق عجلات تراوحت فيما بين اربع او ست عجلات ، وان اقتصرت على اربع بعد ذلك[٣] ، وكانت تسمى الكباش أو الثيران ، وكانت تدفع بقوة لتنقيب الحصون وتدكها[٤] ، وهناك من يشير ان هذه الآلات وإن لم تصور على الجدران الاشورية قبل عهد اشور ناصر الثاني ، فلقد أشارت وثائق (ماري و بوغازي) الى استخدامها منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد[٥] ، كما كانت هناك عربات يختبئون في داخلها الجنود ، وقد غُطت بالجلود السميكة ، ويقتربون بها من الأسوار وهم في مأمن من سهام العدو وحرابه ، كما عملوا أبراج متنقلة يستقلها المقاتلون ويقتربون بها أيضاً من الأسوار ليكونوا على مستواها أو أعلى منها بقليل ، وقد زودت بما يشبه الخراطيم لإطفاء النيران التي قد يصبها العدو على آلات الحصار[٦] .

(١) أدخل الآشوريون إلى جيشهم صنف العربات الحربية ذات العجلتين التي تجرها الخيول ، وكان هذا الصنف يزج في المعارك التي تجري في الأراضي المفتوحة [المنبسطة] ، والغرض منه لتفريق تشكيلات العدو القتالية أثناء احتدام المعركة ، وارباك صفوفهم ، وكان القتال منها بالسهام إلى جميع الجهات ، وكانت كل مركبة تحمل ثلاثة أو أربعة محاربين. يوسف خلف عبدالله : الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٧٧م ، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٢) كان صنف الفرسان [الخيالة] يتميز بخفة الحركة ، وسرعة المناورة ، والغرض منه لمعالجة أي طارئ قد يحدث أثناء المعركة ، كحركة الالتفاف أو التطويق أو الخرق أو ضرب أحد الأجنحة وغيرها ، ويكون سلاح الفرسان الرماح الطويلة والحراب والفؤوس ، وكانوا موحدي اللباس . عبدالعزيز الياس سلطان : المرجع السابق ، ص٨٧.

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٦٤___٣٦٥.

(٤) عبدالعزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥١٥.

(٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق : ص٣٦٤___٣٦٥ . كذلك راجع عبد القادر خليل : السياسة الخارجية للملك آشور ناصر بال الثاني ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٣٤ ، ١٩٨٧م ، ص ٤٥ ومابعدها.

(٦) . عبدالعزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥١٥.

كما اعتمد آشور ناصر بال الثاني على ما يدعى اليوم بالحرب النفسية ، حيث كان يعمد إلى استخدام الأساليب الوحشية عندما يتمرد قوم ويعلنون العصيان المسلح ، ففي هذه الحالة كان الملك الآشوري الذي يقود الجيش بنفسه ، يأمر بسلخ جلود زعماء الأعداء الكبار أحياء ، وتثبيتها على أبواب مدنهم ، وبتعذيب بعظهم على الخوازيق ، وبقطع أيديهم ، وبجدع أنوف الآخرين ، أو بصلم آذانهم وفقئ أعينهم[١] ، كما اعتمد آشور ناصر بال الثاني في سياسته الحربية خطة عملية لتحرك قواته في الوقت المناسب بعدما اتسعت المناطق المحتلة ، وبعدت المسافات بين أطراف الدولة وعاصمتها ، بأن أسس قواعد عسكرية في بعض تلك المناطق الحساسة ، فأقام قاعدة في منطقة طور عبدين ونايبري ، كما أنشأ قاعدة أخرى في الجبال الشرقية ، حيث رمم مدينة أراكدي الخربة في زاجروس ، واعطاها أسماً جديداً توكلتي آشور أصبات ، وغيرها من القواعد العسكرية[٢] .

وقد ذكرت النصوص المسمارية ألقاب كبار القادة العسكريين والأمراء ورتبهم في جيش آشور ناصر بال الثاني أمثال الربشاقة ، وهي أعلى رتبة عسكرية ، ثم التورتان وراب موكي ، ويأتي بعدهم ألقاب أمراء المقاطعات الصغيرة كالرب كصرى وآمر الخمسين وآمر العشرة ، وتميز الفرد الآشوري بصلابته وشجاعته ، وكانت المعارك الكثيرة التي خاضها الجيش في بيئات مختلفة وظروف متباينة قد اكسبته قدرة قتالية عالية ، وتدريباً جيداً وسرعة في الحركة ، وكانت معنويات الجندي المقاتل الآشوري عالية[٣] .

(١) . أحمد أرحيم هبو : تاريخ الشرق القديم (بلاد مابين النهرين) ،ج٢ ، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان ، صنعاء ، ط١ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ص٢١٠.

(٢) . المرجع السابق ، ٢١١.

(٣) . عبدالقادر عبدالجبار الشيخلي : الوجيز في تاريخ العراق القديم ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، ط٢ ، ٢٠١٤م ، ص١٨٣.

استخـدم أشور ناصر بال الثاني كذلك في حروبه العسكرية الخيالة على نطاق واسـع ، كمـا قسم بلاده إلى ولايـات يحكم كل منها والي[١] ، كمـا كان يتبع الجيش الآشوري ما يمكن أن نسميه القساوسة أو رجال الدين ، الذين كانوا مهتمين بتقديم تفسـيرات للتنبؤات الفلكية عند الضرورة ، كمـا كان يتبع الجيش موظفين يقومون بطقوس الجنائز بالنسبة للذين ماتوا في الخدمة العملية[٢].

ومـن الترتيبـات الجديدة التي أدخلهـا آشور ناصر بال الثـاني على الجيش ، اصطحـاب التجهيزات اللازمة لنصب خيام مقر القيادة ومعسكر الجنود الميداني ، فقـد تغير أسلوب القتـال والحصار في بداية الألف الأولى قبـل الميلاد ، فأسلحة الجيشـ تطورت كما ذكرنـا سابقاً ، ودخلت معدات ثقيلـة إلى ساحة المعركة تشبه الدبابـات والمصفحات وتـؤدي الغرض نفسه وأدوات الحصـار المتنوعة ، فقد كان حصـار المدن يستغرق مدة طويلـة ، ومعنى ذلك أن الجيشـ المحاصر كان بحاجة إلى معسكـر يستريح فيه ، ويجد المؤونة اللازمة ، وإلى إيداع الغنائم مؤقتاً أو طالما كانت المعارك مستمرة ، كما صار الجيش يعتمد على كتائب خاصة من القوات التي كانت تقوم بمهمة الاستطلاع الضروري ، كي لا يقع الجيش الرئيس في كمائن العدو ، فغـدت مجموعة من الفرسـان تسبق الجيش وتتقدمه بمسافـات محددة وأخرى تسير خلفه لتأمين الحماية الضرورية[٣].

كمـا حرص الملك آشور ناصر بال الثاني قبل تجهيز أي حملة عسكرية ، القيام بدراسـة مستفيضـة لجميع الأوضـاع الداخلية والخارجية للمناطـق المزمع توجيه الحملة إليها ، كما كانت تسبق كل حملة عدة اجراءات منها :

(١) . أحمـد أمـين سليـم : المرجع السابق ، صـ ٣٢١ . اتبع الآشوريـون سياسة جديـدة في تنظيم البلاد ، وتقسيمهـا إلى أقاليـم ووحدات إدارية أصغر وأصغر ، يشرف على إدارة كل منها حاكم آشوري ، يرتبط به عدد من الموظفين الثانويين ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحكومة المركزية ، التي كانت ترسم له الخطوط العامـة للسياسة الواجـب اتباعها ، وتعطيه حرية التحرك لتنفيذ تلـك السياسة. عبدالقادر الشيخلي : المرجع السابق ، ص١٨٤.

(٢) . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص٣٦٨___٣٦٩.

(٣) . أحمد ارحيم هبو : المرجع السابق ، ص٢٠٩___٢١٠.

١. اتصـالات مكثفة مع أمراء وحكام المقاطعـات والأقاليم والبلدان المجاورة للمنطقـة التي يتم تجهيز الحملة إليها ، لضمان ولائهم للسياسة الآشورية وحماية الحملة.

٢. تأمين الطرق ، والمحاور والمسالك المؤدية إلى الهدف.

٣. قـد تعقد المعاهدات والاتفاقيات مع الحـكام والأمراء المحليين ، وتوثق من أجل تمتين العلاقة وانجاح الحملة.

٤. التقارير المفصلـة لرجال الاستخبارات الآشوريـين (العيون) ، المنتشرون في المنطقـة الذين يبعثون بها إلى الملك حول الأوضـاع العسكرية والشؤون الداخلية للمنطقة قبل أن توجه الحملة إليها.

٥. قد يقدم الملك بعض التنازلات المؤقتة في جبهة معينة من أجل تحقيق هدف أهم في جبهة أخرى.

كل ذلـك يتخـذ قرار فيه وفـق سياسة حكيمة وثابتة ومدروسـة ، يشترك فيها الملـك الحاكم وقادة جيشه وحـكام مقاطعاته وأقاليمه ، وليس قـرار انفرادي من قبل الملك[١] .

كانت قيادة الحملة العسكرية في عهد آشور ناصر بال الثاني تعتمد على عدة عوامل ، ومن بعد ذلك يتم القرار على قيادتها وهي :

١. أهمية الهدف وحجمه ، والأهداف الثانوية المزمع تحقيقها اثناء الحملة.
٢. حجم وعدد الحملات من حيث العدد والعدة ، إذا كان أكثر من عدو ، وفي اتجاهات مختلفة.
٣. بُعد الهدف من اتجاه الحملة إلى مركز بلاد آشور.
٤. د/ طبيعة الهدف والطرق والمحاور والمسالك المؤدية إلى الهدف .

(١) عامر سليمان : العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ السياسي) ، ج١ ، الموصل ، ١٩٩٢م ، ص٢٢٢-٢٢٣.

كانت تدرس جميع هذه العوامل ، وبعد ذلك يتم القرار على تولي قيادة الحملة من قبل الملك نفسه ، أو قد يوكل قيادتها إلى أحد قادته العسكريين ، أو أحد حكام الأقاليم أو المقاطعات[١] .

حروبه وتوسعاته :

بدء أشور الثاني حملاته في الجهة الشرقية من دولة أشور فقد نجح في اخضاع الاقوام الجبلية ، فيحدثنا الملك الاشوري أن قواته قد عبرت جبالا شديدة الانحدار وسلكت مسالك وعرة لم تمهد من قبل لمرور الجنود والعربات وان هذه المناطق تسمى أرض (توم) وان قلعتها تدعى (جوب) وقد فر رجالها الى جبل شديد الانحدار لا تستطيع الطيور من شدة ارتفاعه ان تبلغ منتصفه ، ومع ذلك فقد نجح الفارون في اقامة تحصيناتهم عند قمته ، غير أن جنود الملك وهو على رأسهم سرعان ما وصلوا اليه بعد ثلاثة ايام ، فدمروا معسكرهم وشتتوا شملهم وصبغوا الجبل بدماء مائتين من قتلاهم ثم استولوا على المدن الحصينة في ارض (توم) والتي تقع على الشرق من أشور ، و بعد ذلك اتجه العاهل الاشوري بجيوشه الى منطقة (كيروري) في شمال أشور ، وهي منطقة كانت تابعه للسيادة الاشورية ، وكانت تمد الملك بالخيل والبغال والماشية والضأن واواني البرونز والخمر ويشير الملك الى أن منطقتي (جيلزان) في شمال أشور (وهوبوشيكا) في شمال غرب أشور قدمت له أثناء وجوده في (كيروري) جزيتها من الخيل والذهب والفضة والقصدير والنحاس والاواني النحاسية ، الأمر الذي يشير الى أن المنطقتين بقيتا على الولاء لملك أشور ، ثم بعد ذلك اتجه الملك الاشوري الى ارض "كيرهي" فعبر ممر " هولون " حيث لقي هناك مقاومة عنيفة ولكنه تمكن من الاستيلاء على " نيشتون " عاصمة "كيرهي" وفر رجالها الى جبل مرتفع ، غير أن جنود الملك سرعان ما تعاقبوا الفارين فأعدم الملك الآشوري ٢٦٠ رجلا وقطع رؤوسهم ، وقُبِض على ملكهم (بوبو) وأخذه أسيرا الى مدينة (اربيلا) ، وهناك سلخ جلدة حياً ونشره على جدران المدينة ، ثم أقام لنفسه تمثالا سجل عليه انتصاراته ، ثم

(١) . جورج رو : المرجع السابق ، ص٤٥٧.

أرسل أشور ناصر بال الثاني بعد ذلك حملتين لإخضاع منطقة (زامو) وإقليم (تشخان) وقد نجحتا في تثبيت السيادة الاشورية عليهما[١] .

كما أشتد الصراع بين آشور ومملكة بيت زماني (على بُعد ٦٠كم إلى الشمال الغربي من ديار بكر حالياً بين الفرات ونهر الخابور) ، والتي كانت أقوى ولاية آموريه في الشمال، وفي الواقع فإن آشور ناصر بال الثاني قد أدرك جيداً طبيعة الأقوام الآرامية ، والخطورة الكبيرة التي تشكلها على كيان الدولة ، كما تمكن من استيعاب تجارب الملوك الذين سبقوه في كيفية التعامل مع تلك الأقوام ، كما استخدم اسلوب التدبير الكامل للقوات المعادية التي تثير أعمال الشغب و التمرد و تمتنع عن تقديم فروض الطاعة و الولاء لبلاد آشور ، وبهذه الطريقة تمكن آشور ناصر بال الثاني من التغلب على الدويلات الآرامية الواحدة تلو الأخرى[٢] ، كما عاملهم في منتهى القسوة والوحشية ، مما أدى إلى عدم قيام أي عصيان أو تمرد في هذه المناطق ضد الآشوريين[٣].

كانت مملكة بيت زماني تسعى دائماً لإشعال الثورة بين الدويلات الآموريه ، لمضايقة مملكة آشور خلال فترة حكم الملك آشور ناصر بال الثاني ، مثل الثورة التي اندلعت في مدينة (سورو)[٤] ، والتي كانت تابعة لبيت حالوبي (في الفرات الأوسط) عام ٨٨٣ق.م ، حيث اغتال المتمردين الحاكم المحلي هماتايا ، ووضعوا على العرش شخصاً يسمى أخي-يابا ، والذي جلبوه من مملكة بيت أديني[٥]، حيث

(١) هاري ساغز : عظمة آشور ، ص ٩٩-١٠٠ .
(٢) المرجع السابق : ص ٩٩-١٠٠ .
(٣) انطوان مورتكات : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان وعلي أبو عساف وقاسم طوير ، د:ت ، ص٢٨٨.
(٤) المرجع السابق : ص٩٩-١٠٠. وهي تل الصوار في الوقت الحاضر ، تقع على بعد ٤٠كم إلى الشمال من مصب الخابور بالفرات ، للمزيد راجع علي أبو عساف : الآراميون (تاريخاً ولغةً وفناً) ، دار أماني ، طرطوس ، ١٩٨٨م ، ص٢٩.
(٥) هي إحدى الممالك التي أقامها الآراميون عند المنحنى الكبير لنهر الفرات وعلى ضفتيه ، وذلك في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد ، وقد بلغت أوج اتساعها في القرن العاشر قبل الميلاد ، إذ سيطرت على حوض الفرات الممتد من كركميش وبلاد لاقي ووصلت حدودها الشرقية حتى نهر البليخ ، والغربية حتى بلدتي الباب واختزنن ، وعاصمتها تل برسيب (تل أحمر الآن) على الضفة الشرقية لنهر الفرات ، وقد استمرت هذه المملكة قائمة حتى منتصف القرن التاسع الميلادي ، إذ استولى عليها الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ق.م).

أعلـن التمرد هنـاك وهاجم الموقع العسكـري الآشوري[١] ، فتدخـل أشور ناصر بال الثـاني وقضى على الثورة وأدب الثائريـن[٢] ، وقد ذُكر ذلك في حولياته : "حاصرت مدينة سورو وهي المدينة المحصنة لـ كودورو حاكم أرض سوخو ... وفي اليوم الثاني دخلتهـا بأسلحتي القوية كـودورو مع ٧٠ جندياً من جنوده هربوا إلى الفرات لانقاذ حياتهـم..."[٣] ، وقـد ذكر آشـور ناصر بال الثـاني في تسجيلاته أن شيـوخ المدينة ورؤسائهـا خضعـوا تحـت قدميه يطلبون العفـو ، كما جاء في النصـ التالي : "... وسارع رؤساء مدينة سورو التابعة لبيت حالوبي إلي وركعوا تحت قدمي قائلين : إذا شئـت اقتلنـا وإذا شئت فدعنا أحياء ، افعل بنا مـا يمليه عليه قلبك"[٤] ، وقد عاقب الملـك الآشوري المتمردين ، واستولى على كثير من الغنائم وممتلكات معابد المدينة وقصـر الحاكـم المخلوع (أخي-أبابـا) ، الذي أخذه معه إلى نينـوى ، وعين مكانه (أزي-إيلـو) حاكماً على المدينة[٥] ، كما تسلم الجزيـة من بعض الدويلات الآرامية الأخـرى عـام ٨٨٣ق.م[٦] ، والذين أعلنـوا خضوعهم له وقدمـوا الكثير من الذهب والفضة والنحاس والأواني النحاسية والملابس الكتانية وأحجار من الألباستر وآنية مـن العاج والأقمشة الفاخـرة والأصواف المزخرفة وغيرهـا[٧] ، وكذلك الثورة التي قامت في (لاق) و(خنداق) و(سوخو) غرب الفرات ، فقضى عليها العاهل الأشوري بعنف ، وكانت تلك الثورات عام ٨٧٨ق.م ونظرا لذلك قام العاهل الاشوري بتأديب بيـت زماني ، لتكـف عن تحريك هذه الثـورات ، فقد تقدم نحوهـا ودمر مدينتهم

(١) محمد دسوقي حسن عبدالعزيز : التوسع الآشوري غرباً في عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٥-٦١٢ق.م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص١٣.

(٢) . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص٩٩-١٠٠.

(3) . Curtis , J . E . and Reade , J . E , Art and Empir Treasures from Assyria in the British Museum , (London , 1990) , p48_49.

(٤) . محمد دسوقي : المرجع السابق ، ص١٤.

(٥) . المرجع السابق : ص١٤.

(٦) . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص١٠٠.

(٧) . محمد دسوقي : المرجع السابق ، ص١٤.

كبرابـو[١] ، وقد استخدم الأنفاق والمجانيق القاصفة وآليات الحصار[٢]، ليجبر ملكها أحـوني بن أدينـي سنة ٨٧٦ق.م على دفع الجزية ، وبذلـك تكون بيت زماني قد تم أحكامهـا آشورياً ، وفرض السيطرة التامة علـى معابر الفرات بعد أن أسس ميناء سمـاه (كار-آشـور ناصر بال) و (معـبر آشور)[٣] ، وبعد أن أظهـر أشور ناصر بال الثـاني جبروته ضد المناطق الواقعة علـى الشمال من نهر دجلة قام بترميم مدينة قديمـة على نهر دجلة وهي (توشتمان) لتكـون حامية عسكرية، ولكن في الحقيقة فقـد كانت هذه المدينة قاعدة رئيسيـة ومستودعاً للتخزين ، كما أدرك آشور ناصر بال الثاني أن عاصمة آشور تقع في أقصى الجنوب ، وأن الإمبراطورية أصبحت في حاجـة إلى انشاء عاصمة جديـدة تقع في الشمال ، وقد تمثل ذلـك باختيار مدينة توشتمـان[٤] ، وكان سكانهـا مـن الآشوريـين الذيـن يحصلون على الحبـوب والمؤن الأخـرى مـن المناطق المجاورة بحيـث تستطيع في حالة تعرضهـا للهجوم الصمود مدة غير محدودة[٥].

وهكـذا فقـد انشأ آشور ناصر بـال الثاني خطاً دفاعياً قويـاً على طول حدوده الشماليـة والغربية ، وبعدها عمل على تحسين هذا الخط بجعله حلقة أمنية آمنة ، كما استخدم آشور ناصر بال الثاني في غزواته مدينتا أربيل ونينوى قواعد لعملياته الحربية ، فضلاً عن العاصمة آشور ومدينة توشتمان[٦].

وفي عام ٨٧٦ق.م توجه العاهل الاشوري نحو قرقميش[٧] ، وطلب المرور ولم يقاوم ملكهـا [سنكارا] ، وقبل أن يدفع إتاوة كبـيره ، ويذكر الملك آشور ناصر بال الثاني

(١) . الأب ألبير أبونا : الآراميون في التاريخ ، دار المشرق الثقافية ، دهوك ، ٢٠١٠م ، ص٦٠.
(٢) . جورج رو : المرجع السابق ، ص٣٨٩.
(٣) أحمـد زيـدان خلف صالح الحديـدي : علاقات بلاد آشور مـع الممالك الحيثية الحديثـة في شمال سوريا (٩١١-٦١٢ق.م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص٤٢.
(٤) . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص١٠٠.
(٥) . المرجع السابق : ص ٩٩ ــــ ١٠٠ .
(٦) . المرجع السابق : ص١٠٠.
(٧) . تُعـرق قرقميـش حالياً بـ طرابلس ، وتقـع شمال سوريا على الضفة الغربية لنهـر الفرات عند النهاية الشمالية للامتداد الواسع لسهل النهر . أحمد زيدان خلف : المرجع السابق ، ص٣٠.

ذلك في حولياته فيقول : "...عبرت الفرات ، الذي كان في حالة الفيضان ، بواسطة العبارات المصنوعة من جلود الماعز ، واقتربت من أرض قرقميش واستلمت الإتاوة من سنكارا ملك أرض حاتي..."[١] ، وعبر الجيش الآشوري الفرات واخترق سوريا إلى الساحل[٢] ، إلا أنه تحوطاً للأمر كان يأسر بعض أبناء حكام تلك المناطق ، كضمان لأمنه وسلامته عبر أراضيهم[٣] ، ولقد نهجت الممالك الحيثية الأخرى نهج قرقميش[٤] ، ليتجه آشور ناصر بال الثاني بعد ذلك بقواته جنوباً إلى كونولوا (على بعد ٢٥كم عن مدينة أنطاكية في سهل العمق حالياً) ، فاستسلم ملكها ودفع الإتاوة كما كان يفعل أسلافه ، وقد دُون ذلك في حوليات الملك "...اقتربت من مدينة كونولوا ومدينة لوبارنا الملكية كان خائفاً من أسلحتي القوية ومعركتي الضارية ، وخضع لي لإنقاذ حياته ، واستلمت الهدايا والإتاوة..."[٥] ، بعد ذلك عبر العاهل الاشوري نهر العاصي ، ودخل لبنان ، ونزل إلى البحر المتوسط بدون مقاومة ، وهناك تلقى خضوع المدن الفينيقية الواحدة تلو الأخرى حوالي عام ٨٧٦ ق.م ، وأرغمها على أن تدفع الجزية[٦] ، ويذكر الملك آشور ناصر بال الثاني ذلك في حولياته ما نصه[٧] : "وفي هذا الوقت فأنا وضعت سلطتي على اتساع جبال لبنان ووصلت إلى البحر العظيم في بلا آمور ، وأنا غسلت أسلحتي في مياهه العميقة ، وقدمت قرابين الأغنام إلى جميع الآلهة ، وتسلمت هناك جزية ساحل البحر من سكان تيري (صور) و سيدون بايبلوس (صيدا) و مجالات و ميزا و كيزا و أمور و أرواد ، التي هي جزيرة في البحر تتكون من ذهب و فضة و صفيح و نحاس و أدوات نحاسية ، و أدوية كتانية مزخرفة

(١) أحمد زيدان خلف : المرجع السابق ، ص٤٢.
(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٦٨.
(٣) حسن محمد محي الدين السعدي : في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق-إيران-آسيا الصغرى) ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤م ، ص١٧٩.
(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٦٨.
(٥) أحمد زيدان خلف : المرجع السابق ، ص٤٣.
(٦) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ .
(٧) عبد المعطي محمد سمسم : العلاقات بين شمال شبه الجزيرة العربية و بلاد الرافدين ، إيتراك للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص ٩٨ ــــ ٩٩ .

بزخارف عديدة الألوان و قرود صغيرة و كبيرة وخشب أبنوس و خشب البقس و سن الفيل من أفيال البحر ، وهذه الجزية تسلمتها وقبلوا أقدامي" ، و لقد أقام الملك آشور ناصر بال الثاني بهذه المناسبة لوحة تذكارية عند نهر الكلب شمالي بيروت ، و عند نهر الكلب كذلك تلقى العاهل الأشوري هدايا الملك عمرى ملك اسرائيل[١] ، أما موقف المدن الفينيقية فقد أدرك ملوكها أنهم أضعف من أن يقاوموا قوات العاهل آشور ناصر بال الثاني حيث كان همهم الرئيس المحافظة على تجارتهم وأرباحهم ، ولذلك فضلوا تقديم الأموال كهدايا وجزية للعاهل الآشوري ، والتي حمت مدنهم من التدمير والهلاك خلال حملات الآشوريين[٢] ، أما عن الجزية التي قدمتها المدن الفينيقية فيمكن تقسيمها إلى قسمين : الأول صناعة محلية كالأخشاب والألبسة المصبوغة والعاج ، وأما القسم الثاني من الجزية فمستورد من خارج الساحل الفينيقي مثل الذهب والقردة والكتان والنحاس[٣].

وعلى الرغم من الحروب والفتوحات التي قام بها آشور ناصر بال الثاني في الجهة الغربية من الإمبراطورية الآشورية ، إلا أنه أدرك صعوبة الاصطدام بمملكة دمشق الآرامية ، التي كانت قوية آنذاك ، ففضل احتلال المناطق المجاورة لمملكة دمشق الآرامية ، لإجبارها على الاستسلام للآشوريين دون الدخول في معارك أو حرب[٤].

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٦٨. تولى عمري ملك إسرائيل ما يقارب اثنتي عشر سنة ، وينسب إليه تأسيس العاصمة الجديدة السامرة ، ويرجع البعض من المؤرخين أن المبالغة في نقد الملك عمري والإقلال من ذكر أخباره في العهد القديم يرجع لأسباب دينية ، منها أنه ساعد على دخول الوثنية إلى مملكة إسرائيل ، نتيجة للسياسة التي اتبعها في توسيع علاقاته مع فينيقيا . للمزيد راجع كمال عبدالعليم وسيد فرج راشد : اليهود في العالم القديم ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص١١٠-١١٦.

(٢) منير الخوري : صيدا عبر التاريخ ، المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ص٦٠ ؛ راجع كارلهاينز برنهردت : لبنان القديم ، ترجمة ميشيل كيلو ، مراجعة زياد منى ، قدمس للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص١٥٨.

(٣) . ج.كونتنو : الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة ، مراجعة طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص٢٧١ ؛ راجع جان مازيل : الحضارة الفينيقية الكنعانية ، ترجمة ربا الخش ، مراجعة عبدالله الحلو ، دار الحوار ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص٦٧.

(٤) بورت : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة محرم كمال ، مراجعة عبدالمنعم أبو بكر ، القاهرة ، د:ت ، ص٣٠٤؛ راجع محمد عبدالقادر ، الساميون في العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص٢٢٢.

وهكـذا ولأول مـره منذ عهد تجلات بلاسـر الأول (١١١٥-١٠٧٧ق.م)[١] يصل ملـك آشـوري الى البحر المتوسط ، ويتلقى الجزية من عدد مـن المدن الفينيقية[٢] ، ويغسـل أسلحتـه في البحر ويقـدم القرابين ، وهو بذلك يتبع طقس قديم للأمراء السومريـين والآكاديين ، ولعل ذلك يرمز إلى القوة والاعتقاد بمباركة الآلهة[٣] ، كما استطاع القضاء على كل مقاومة في طريقه مع قيامه بصيد النعام والثيران البرية في طريقـه ، وهـذه كانت ما تزال منتشرة في الصحـراء السورية في ذلك الزمن[٤] ، وفي الحقيقة فإن الملك آشور ناصر بال الثاني كان مولعاً بصيد الحيوانات الوحشية كالأسـود و الثـيران الوحشية ، وقد خلف عن ذلك سجلاً حافـلاً في أخباره المدونة و في صـور منحوتاتـه الكثيرة التي عُثر عليها في قصـره في مدينة نمرود (كالح) ، كمـا اشتهر أيضاً بولعه في جمع النباتات و الحيوانات الغريبة في أثناء حملاته إلى الأقطار البعيدة و جلبها إلى عاصمة مملكته[٥] ، ولقد غنم آشور ناصر بال الثاني من حملاته على شمال سوريا حتى الساحل غنائم كثيرة ، كما مهد الطريق أمام الملوك التاليـين لتحقيـق انجـازات عسكرية توسعية أعظـم ، كمـا ازدادت الإمبراطورية الآشورية قوةً وجبروتاً ، لتدرك دول الشرق الأدنى القديم أن الآشوريين قد امتلكوا زمام المبادرة والسيطرة العالمية[٦] .

(١) بتـولي تجـلات بلاسر الأول الحكم في آشور ، يبدأ عهد جديد من النشاط الحربي على كافة الجبهات، وقد وصل في إحدى حملاته إلى البحر المتوسط وتسلم الجزية من عدد من المدن الفينيقية ، ولقد نجح تجـلات بلاسـر الأول في القضاء علـى الأخطار المحدقة بالدولـة الآشورية ، كأقـوام المشكو الفريجيين ، وبعض القبائـل الآرامية وغيرها ، كما تمكن تجـلات بلاسر الأول من ضم بـلاد الأرمن إلى مملكته وغيرها من المدن الكبرى المجاورة للآشوريين ، وانطلاقاً من كل هذه الانتصارات فلقد زعم لنفسه عدة أوصاف وألقاب كالملك الحق لوجال كالاجا ، وملك العالم ، وملك آشور ، وملك الأطراف الأربعة ، والمؤيد بوحـي آشور ونينورتا وغيرها ، كما قام تجلات بلاسـر الأول بتعمير العاصمة الآشورية القديمة آشور ، وجعلهـا عاصمـة للدولة ، كما جدد أسوار مدينة نينوى وغير ذلك مـن الأعمال . محمد بيومي مهران : دراسات في الشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م ، ص٢٧___٣٠.

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٦٨

(٣) إبراهيـم محمد علي الهلالي : علاقة بلاد الرافدين بالساحـل الفينيقي من العصر الآشوري الحديث حتـى نهاية العصر الكلداني (٩١١-٥٣٩ق.م) دراسة تاريخية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ، ص٦٠___٦١.

(٤) هاري ساغز : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٥) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥٥١ .

(٦) . محمد دسوقي حسن : المرجع السابق ، ص١٥.

يذكـر البعضـ من المؤرخـين ، أن حوليات الملك آشور ناصر بـال الثاني تؤكد قيامه بعمليـة توطـين الأشوريون في المـدن المفتوحة ، ليصبحـوا سادتها والمنتفعـين بخيراتها وليخمـدوا نشـاط زعمائهـا ويكونـوا عيوناً عليهـم لدولتهـم ، وان كانـت عملية توطين الأشوريون في المدن المفتوحة فكرة عمل بها الاشوريون قبل عهد أشور ناصر بال الثاني[١] .

اتبـع آشـور ناصر بال الثاني في حروبه عمليات التهجير القسري في المناطق التي امتازت بكثرة ثوراتها وتمرداتها ، وذلك بتوطينهم في أماكن مختلفة من الدولة الآشوريـة ،مما كان له الأثـر الكبير في استقرار الأوضاع السياسية ، واضعاف روح المقاومـة لديهم ، كمـا شهدت الطرق التجارية أماناً واستقـراراً ، وانعدام عمليات النهـب والسلـب التي كانت تمارسهـا القبائل التي تقع على تلـك الطرق[٢] ، كما نتج عـن هذه العمليات خوف سكان الأقاليم والمقاطعـات التابعة للآشوريين من إعلان التمـرد والعصيان ضد السلطة الحاكمـة[٣] ، كما أشارت المنحوتات والنقوش الملكية إلى أن الجيش الآشـوري كان يتكـون مـن أعـداد كبـيرة من المواطنـين الذين تم تهجيرهـم من مناطقهم[٤] ، فجنـدوا الأجانب في المؤسسة العسكريـة ، فكان كثيراً من المهجرين وقوات الدول المندحرة يدخلون في صفوف القوات المسلحة كجنود في المراتب والأصناف المختلفة[٥] ، وأن هؤلاء المهجرين كان لهم زي خاص بهم يميزهم عن القوات العسكرية الأخرى[٦] .

(١) . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥٠٦ .

(2) . A . T . Olmsted , History of Assyria , (London-1960) , p220.

(3) . William J . Hamblin , Warfare in the Ancient Near East to 1600 BC Holy Warriors at the Dawn of History , First Edition , Routledge , (USA and Canada – 2006) , p115.

(4) . J.E.Reade , The Neo – Assyrian Court and Army , p105

(٥) . يوسف خلف عبدالله : الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث (٩١١___٦١٢ق.م) ، ط١ ، جامعة بغداد ، ١٩٧٧م ، ص٤١___٤٢.

(٦) . J.E.Reade , The Neo – Assyrian Court and Army , p105 لم يكـن للآشوريـين أيـة عنصريـة قوميـة في احتـكار الجيش الآشوري على ابناء جنسهم فحسب ، بل نجدهم جندوا مختلف الشعوب التي كانـت تابعـة لهم في الجيش الآشوري على حد سواء ، وهذا أدى إلى اختلاط كل مجموعة بهويتها بهدف القتـال ، مكونـة استناداً إلى الأعداد المجندة فرقة أو وحدة أصغـر احتفظت بنوع السلاح ، وشكل الزي المرتبط بأقاليمها الأصلية . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص٣٧٨.

الجوانب الحضارية في عهد آشور ناصر بال الثاني:

وعلى أية حال فإن عهد أشور لم يكن بأسره عسكرياً ، بل شمل كذلك جوانب حضارية ، لعل من أهمها قيامه بإعادة بناء مدينة تجارية ، وهي مدينة كالح ، والتي يمثلها الآن تلة نمرود [على بعد ٣٥كم جنوبي نينوى بأرض خصبة شرقي وادي دجلة] ، والتي كان قد أسسها شلمنصر الأول (١٢٧٤- ١٢٤٥ ق.م)[١] ، لتكون قاعدة عسكرية ، حيث وضع فيها جيشه وأسلحته ، وعدها نقطة انطلاق الحملات العسكرية ، ولكنها أهملت و تحولت إلى خرائب ، وقد كان لهذا الموقع أهمية استراتيجية لكونها واقعة في الزاوية التي يتصل بها نهر الزاب الأعلى بنهر دجلة[٢] ، وبفضلها تكون المدينة محمية طبيعية ، وقد عُرفت بخصوبة أرضها[٣] ، ويصح القول أن الملك آشور ناصر بال الثاني قد أسس المدينة من جديد[٤] ، واستخدم الألاف من العمال من أسرى الحروب والمهجرين لإعادة بناء تلك المدينة[٥] ، فقد سوى انقاضها بالأرض ، ووسع من رقعة أبنيتها ، وشيد حولها سوراً ضخماً مدعماً بالحصون ، وأبراج الدفاع بلغ محيطها زهاء ٨ كيلومتر ، والمدينة مستطيلة الشكل تقريباً مساحتها زهاء ٣،٥ كيلومتر مربع ، كما بنى آشور ناصر بال الثاني فيها قصراً لنفسه يُعد أول القصور الآشورية التي اكتشفت في القرن الماضي[٦] ، ولقد ذكر ذلك في حولياته "...قصر مشيد من خشب السرو والأرز والعرعر والبقس والتوت والفستق والطرفاء ، بنيته منزلاً ملكياً لمتعتي الجليلة لكل العصور وصورت

(١) . يُعد الملك شلمنصر الأول من أعظم الملوك الآشوريين ، لاسيما في ميدان الفتوحات الخارجية ، فقلد تميز عهده بالفتوحات العسكرية المتتالية على الأقوام الجبلية وعلى مملكة أورارتو [أرمينيا] ومملكة خاني جلبات الميتانية ، التي ضمت أراضيها إلى الدولة الآشورية ، وأما أهم أعماله العمرانية فكان تأسيس مدينة كالح واتخاذها عاصمةً له . محمد بيومي مهران : دراسات في الشرق الأدنى ، ص٢٥.

(٢) . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص١٠٠___١٠١.

(٣) . نبيل نور الدين حسين محمد الطائي : من حملات آشور ناصر بال الثاني في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١م ، ص٢٥.

(٤) . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص١٠٠___١٠١.

(٥) . عيد سعيد مرعي : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مكتبتي الخبتي الثقافية ، بيشة ، ١٤٢٤هـ ، ص١٠٨-١٠٩.

(٦) . المرجع السابق : ص١٠٩.

وحوش الجبال والبحار على حجر الكلس ووضعتها في أبوابه ... وعلقت عليها اغصان أشجار الأرز والسرو والتوت والعرعر ونقلت إليه الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد ، وهي الغنائم التي استحوذت عليها بنفسي وبكميات كبيرة من البلدان التي اخضعتها"[١] ، ولقد زود الملك عاصمته الجديدة بالمياه عن طريق قناة مُدت من الزاب الأعلى ، وبنى فيها أبنية رائعة مع أنظمة للصرف الصحي ، وزرع فيها الحدائق وأسكن فيها شعوباً من مختلف أنحاء الإمبراطورية ، وجعلها مدينة عالمية حقاً[٢] ، وأصبح الإله ننورتا [إله الحرب] حاميها[٣] ، وقد تفاخر العاهل الآشوري بذلك في حولياته قائلاً : "...وانسابت مياه القناة من أعلى الحدائق الزاهية في سواقي المياه التي عددها كعدد نجوم السماء انسابت في الحدائق ... أنا آشور ناصر بال جنيت الفواكه في كلخ..."[٤] ، وقد دشن العاهل الآشوري مدينته الجديدة بإقامة وليمة دامت أسبوعاً كاملاً ، وقد سجل هذا العمل في نقش كامل ذُكر فيه حتى قائمة المأكولات[٥] ، كما عثر عام ١٩٥١م على لوح الاحتفال [محفوظ الآن بمتحف الآثار بالموصل] وقد صور الملك على اللوح محاطاً برموز آلهة السماء ، وقد جاء بالنص المنقوش على اللوح أن الملك أقام احتفالاً بمناسبة اتمام القصر والحدائق المحيطة به ، ودعا إليه ٦٩٥٧٤ شخصاً من كل انحاء الإمبراطورية ، نزلوا ضيوفاً على الملك على مدى عشرة أيام شربوا فيها خمراً وأكلوا على المائدة الملكية ، وأن الملك قد ذبح ٢٢٠٠ عجلاً ، وستة عشر ألف خروف ، وقد شرب ضيوف الملك ألف قربة خمر ، وعشرة آلاف برميل من البيرة ، كما يذكر الملك في النص أنه قدم لضيوفه الحمامات والدهون العطرية ومنحتهم الأوسمة ، ثم أعدتهم إلى بيوتهم في سلام وهناء[٦].

(١) . جورج رو : المرجع السابق ، ص٣٩٣.
(٢) . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص١٠٠___١٠١.
(٣) . جورج رو : المرجع السابق ، ص٣٩٣.
(4) . Wiseman , D . J , A New Stel of Assur_Nassir_Pall 11 , Irag vol . x1v , 1952 , p30.
(٥) . هاري ساغز : المرجع السابق ، ص ١٠٠___١٠١ . كذلك راجع طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥٥١ .
(٦) . محمد عبدالقادر : الساميون في العصور القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص٢١٩.

وتعد الآثار المكتشفة في مدينة كالح من أروع الآثار الآشورية ، وتعكس لنا المدى الذي وصله الفن والعمارة في القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد كُشف عن كثير من القصور الضخمة والمعابد والأسوار والبوابات ، فضلاً عن مئات من ألواح الجدران التي كانت تعلق على جدران قاعات القصور الداخلية ، وهي منحوتة نحتاً بارزاً دقيقاً بمناظر مختلفة من الحياة الملكية والمعارك العسكرية والحياة اليومية ، وقد لون بعضها بألوان زاهية ظلت تحتفظ بها حتى يومنا هذا ، كما زينت مداخل القصور والقاعات الرئيسية بتماثيل ضخمة لحيوانات مركبة ، عرفت بالثيران المجنحة ، تعبر عن قوة الآشوريين ، فضلاً عن حكمة وصلابة قوادهم ، وقد حاول الفنان أن يعبر عن ثبات الثور وسيطرته على الأرض والسماء إلى جانب قوته الطبيعية ، فمثله بخمسة أرجل وبأجنحة كبيرة ، كما عبر عن حكمة الآشوريين ومعرفتهم ، فجعل للثور رأس إنسان ، وأما وضع الثيران المجنحة في المداخل الرئيسية فكانت بهدف حماية المبنى وساكنيه من الشرور فضلاً عن اشعار الزائر ولأول وهلة بقوة الدولة وملكها ، كما عثر في كالح على أعداد من النصوص المسمارية ومسلة لآشور ناصر بال الثاني ، وعلى مجموعة من القطع العاجية ، أبرزها قطعة تمثل قناعاً لرأس فتاة جميلة عُرفت عند الباحثين باسم فتاة البئر ، حيث عثر عليها في أحد آبار المدينة[١] ، كما أهتم آشور ناصر بال الثاني بالنواحي الدينية في عاصمته الجديدة ، ويتضح ذلك من كثرة المعابد التي انشأها ، والتي منها معابد للأرباب انليل ونينورتا وأدادوشالا وجولا وسين ونابو وعشتار ومعبد للآلهة سبتي ومعبد اشتار-كتموري وغيرها[٢] ، ولقد أصبحت كالح في عهد آشور ناصر بال الثاني وعهد خليفته شلمنصر الثالث عاصمة للدولة الآشورية وخاصةً عاصمتها العسكرية ، حيث أصبحت في هذه الفترة والفترات اللاحقة أيضاً نقطة انطلاق للحملات الموجهة إلى المنطقة الجبلية الشرقية ، وإلى الجنوب الشرقي من بلاد آشور[٣] .

(١) . محمد بيومي مهران : دراسات في الشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م ، ص٥١-٥٢.

(٢) . عامر سليمان : العصر الآشوري -كتاب العراق القديم- ، بغداد ، ١٩٨٣م ، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) . وليد محمد صالح : المرجع السابق ، ص٧٦___٧٧.

ويبدو أن الفن المعماري في عهد آشور ناصر بال الثاني قد تأثر بالفن المعماري في البلدان والأقاليم المجاورة التي سيطر عليها ، ولاسيما في سوريا ، إذ جلبوا منها البنائين والنحاتين وغيرهم ، للعمل في بناء المدن والقصور ، كما حرص آشور ناصر بال الثاني على بناء وتجديد القصور والمعابد والتحصينات الدفاعية والأسوار والبوابات في كل المدن والأقاليم التي ضمها إلى إمبراطوريته ، وقد تميزت العمارة بشكل عام في عهد آشور ناصر بال الثاني بعدة خصائص منها استخدام الأشكال ذات الزوايا والأركان ، وتجنب استخدام الأشكال الدائرية والمنحنية ، ولعل ذلك يرجع إلى أهمية التوجيه في العمارة الآشورية من الناحية الفكرية والعقائدية ، مما ترك أثراً على شكل الهيئة العامة للكتلة والفضاء ، ومنها تميز المداخل بأهمية خاصة في العمارة الآشورية سواءً كانت داخلية أو خارجية ، إذ يلاحظ إنهاء منطقة المداخل بالمرمر الأزرق ، وتزيين المداخل بالنقوش والتماثيل والأفاريز ، وأخذ المدخل شكلاً مختلفاً عن بقية عناصر العمارة ، والمتمثلة بالنهاية نصف الدائرية للمدخل ، كما استخدمت مادة الجص الجيري في انهاء الجدران الخارجية للأبنية الآشورية ، ومادة الجص الطيني في انهاء جدران الفضاءات الداخلية ، واستخدام الحجر بشكل محدود في انهاء الجدران الخارجية للأسوار والأرضيات ، أما المرمر الأزرق فإن استخدامه اقتصر على المنحوتات الجدارية ، وعتبات المداخل الرئيسية ، وغيرها من الخصائص.

إن من أهم الانجازات التي اقترنت باسم آشور ناصر بال الثاني هو نجاحه في تأسيس مراكز آشورية استراتيجية في مناطق خارج السيطرة الآشورية المباشرة، ولكنها كانت تؤدي فروض الطاعة والولاء ، ولعل من أهم تلك المراكز كار – آشور ناصر بال ونابارتي– آشور على الفرات أسفل بيت عديني واريبو في وادي أورنتس ، وقد حققت تلك المراكز للآشوريين نفوذاً سياسياً ونشاطاً تجارياً متميزاً ، امتد إلى عهد الملوك الذين خلفوه في الحكم لتحقيق انجازات أعظم ، فازدادت الدولة الآشورية قوةً وجبروتاً[1] .

(1) . Liverani , M . , "The growth of the Assyrian empire in the Habur Euphrates area : anew paradign , unpulished report , Roma , 1985 , pp . 4_5 .

وقد نتج عن سياسة التوسع التي قام بها آشور ناصر بال الثاني في البلدان المجاورة آثاره الحضارية على الدولة الآشورية وسكان البلدان المجاورة في آن واحد، منها ازدياد النشاط الاقتصادي في البلاد كالتجارة والزراعة، وتدفق الأموال من البلاد المفتوحة التابعة والموالية على بلاد آشور، وكذلك نقل العديد من العناصر الحضارية من وإلى بلاد آشور، فكان هنالك تمازج حضاري رائع شهدت له آثار الآشوريين المعمارية والفنية، كما تعكس ذلك نصوصهم المسمارية المكتشفة أثناء عمليات الحفر والتنقيب الآثارية التي أجريت في مواقع ومدن بلاد آشور ومواقع البلدان المجاورة، كما ساعد ذلك على العمل ونشر الرفاهية بين الناس، وشجع الملك آشور ناصر بال الثاني على القيام بالمشاريع الضخمة والأعمال العمرانية[١].

كما حرص آشور ناصر بال الثاني في كل حروبه التي خاضها، على اختيار الحرفيين والصناع المهرة من تلك البلاد المفتوحة، لاستعمالهم في الجوانب الاقتصادية والعمرانية [مزارعين، عمال بناء، تجار، وغيرهم] حيث كانت مصدراً مهماً لرفد المؤسسات بالأيدي العاملة، لتسخيرها في مختلف الجوانب، وهو ما سهل عليه القيام بكل الأعمال العمرانية، فنقرأ مثلاً أن الشوباريين بنو سور المدينة، وأن النائيريين انجزوا العمل في كار-توكلتي-ننورتا[٢].

كما نتج عن توسعات آشور ناصر بال الثاني العسكرية، أنها كانت مصدراً لرفد السلطة الحاكمة بعدد كبير من الأشخاص الذين تمت الاستفادة منهم، فبعضهم استخدموهم كعبيد والبعض الآخر كجنود وموظفين، بالإضافة إلى تقديمهم كقرابين للآلهة[٣]، وفرض على الأقوام أعمال سخرة سنوية[٤]، لسد حاجة المملكة من الأيدي العاملة سواءً للبناء والتعمير أو غيرها، لما يمتلكونه من خبره ومهارة في تلك الأعمال[٥].

(١) . فاضل عبدالواحد علي: المرجع السابق، ص١٤٣.

(٢) . كوزاد محمد أحمد: توكلتي - ننورتا (منجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٣م، ص١٣٨.

(3) . J . Gelb , Prisoners of war in Early Mesopotamia , JNES , va . 32 , No . 1\2 , 1973 , p76.

(٤) . كوزاد محمد: المرجع السابق، ص١٣٨.

(٥) ماجدة حسو: الصلات الآشورية الآرامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥م، ص١٤٢.

وبسبب توسع الدولة الآشورية فقد كانت الخيرات من الفواكه والخضروات والأخشاب وغيرها تصل إلى العاصمة الآشورية وغيرها من المدن طوال العام ، كما ازدهرت التجارة الآشورية ، والتي تجنبت فرض الضرائب عليها ، في كل المدن والبلدان التي سيطر عليها آشور ناصر بال الثاني .

اتخذ آشور ناصر بال الثاني نظاماً إدارياً ساعد على تقوية ونمو الإمبراطورية الآشورية ، وضبط أمنها وإدارة شؤونها الداخلية بكفاءة ، وهو تقسيم الإمبراطورية إلى مقاطعات وأقاليم رئيسية ، وكان كل إقليم يسمى بيخاتو أو ناكو[١] ، يشرف عليه شخص يدعى سيد المقاطعة أو الأقليم [بيل بيخاتي] ، وهذا بدوره يمثل الملك في المقاطعة أو الأقاليم ، ويقوم بتنفيذ أوامر الملك وسياسته المركزية[٢] .

كما كان كل اقليم آشوري مقسم بدوره إلى عدد من الوحدات الإدارية الأصغر ، سميت كل واحد منها بـ قنو ، ولعلها تعني حلقة ، وكان مركز القنو في المدن الرئيسية[٣] .

وفيما يخص أسلوب إدارة المدن الآشورية القديمة والكبيرة كمدينة آشور والتي كانت تتمتع بمركز ديني خاص ، فكانت تدار من قبل مجلس منتخب من كبار السن ، وعلى رأسهم شخص يدعى (الخزانو) ، وهو لقب ربما يقابل منصب المحافظ في عصرنا الحاضر[٤] ، ومن جانب الحيطة والحذر من احتمال تمرد وعصيان أو أعمال شغب أو اضطرابات في مثل هذه المدن المهمة والقديمة ، كان على الملك أن يعين له حاكماً فيها ، يكون إلى جانب الخزانو يدعى [الرجل على المدينة] .

وعلى الرغم من أن السياسة التي اتبعها الملوك الآشوريين في إدارة شؤون امبراطوريتهم كانت مركزية ، إلا أنه كان لحكام المقاطعات والأقاليم ورؤساء المدن

(١) . هاري ساكز : عظمة آشور ، ص١١٥.
(٢) . فاضل عبدالواحد علي وآخرون : العراق في التاريخ ، ص١٤١.
(٣) . عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان : محاضرات في التاريخ القديم ، بغداد ، ١٩٧٨م ، ص١٨٦.
(٤) . هاري ساكز : عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، ط٣ ، لندن ، ١٩٧٩م ، ص٢٨٨.

حرية الممارسة والتصرف في اسلوب تنفيذ السياسة المركزية للدولة الآشورية ، وإدارة شؤون وحدتهم الإدارية ، وكان لكل حاكم من حكام الدول والممالك والأقاليم والمقاطعات ورؤساء المدن والموظفين الحق بالاتصال المباشر بالبلاط الملكي من دون المرور بالتسلسل الاداري المعروف ، إذا ما دعت الضرورة والحاجة إلى ذلك[١] .

كما حرص آشور ناصر بال الثاني على تطوير نظام المواصلات والبريد في الإمبراطورية الآشورية ، من أجل ضمان الاتصال الدائم والسريع بين الملك وحكامه وموظفيه في الدول والممالك والمقاطعات والأقاليم والمدن التابعة ، وللوقوف على ما يجري في أرجاء الإمبراطورية الآشورية ، ومما يرتبط بنظام البريد الرسل والرسائل ، حيث كان الاتصال بين الدول والممالك والمقاطعات وبين العاصمة الآشورية يتم من خلال رسل ممتهنين ومحترفين ، وهم على عدة أصناف، فالرسول في اللهجة الآشورية كان يدعى [مارشبري] ، والذي كان يسافر على الطرق الملكية ، حيث كانت تتوزع على الطرق محطات بريدية تكون تحت حراسة وحماية قوات حكومية دائمة ، والطريق مقسم إلى محطات بريدية ، المسافة بين كل محطة بريدية وأخرى تقدر برحلة يوم واحد ، والتي تسمى مرحلة[٢] .

وفي الختام يمكن القول أن آشور ناصر بال الثاني قد رفع مستوى الإمبراطورية الآشورية تقريباً إلى نفس المستوى الذي كانت قد بلغته قبل حوالي مائتي سنة أي في عهد تجلات بلاسر الأول ، إلا أنه استطاع بقسوته وقوته ربط أواصر الإمبراطورية أكثر مما كانت عليه في ذلك الوقت[٣] ، لتصبح الإمبراطورية الآشورية عند نهاية حياة هذا العاهل تمتد ما بين دجلة العُليا ومنطقة حوض نهر الزاب الصغير شرقاً وحران في الجزيرة العُليا غرباً[٤] ، كما يمكن القول أن آشور ناصر بال الثاني كان من أقوى وأقسى الملوك الذين عرفهم التاريخ .

(١) . عبدالعزيز الياس سلطان : عوامل أساسية أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية ، ص٩٨.
(٢) . المرجع السابق : ص٩٩.
(٣) . انطون مورتكارت : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص٢٨٨.
(٤) . محمد حرب فرزات و عيد مرعي : دول وحضارات في الشرق القديم ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٤م ، ص١٨٥.

النتائج:

١. اتبع آشور ناصر بال الثاني سياسة الملوك الأوائل في توليه الحكم ، كما حرص على إضفاء القدسية الدينية على شخصه بعد توليه مقاليد الحكم.

٢. استطاع آشور ناصر بال الثاني توسيع حدود دولته من بلاد عيلام شرقاً حتى ساحل البحر المتوسط غرباً .

٣. اشتهر آشور ناصر بال الثاني باستخدام أساليب أكثر قسوة ضد خصومه ، مما أفزع العديد من شعوب الشرق الأدنى القديم ، فلم تستطع مقاومته أو الثورة على حكمه .

٤. طور الملك الآشوري الجيش ، وحرص على استحداث أنواع وأساليب جديدة للقتال ، الأمر الذي جعل القوة الآشورية تستطيع هزيمة أي قوة تقابلها آنذاك .

٥. للملك الآشوري بصمات واضحة خلدها التاريخ في الجانب الحضاري ، منها بناء وتجديد المدن ، والقصور والمعابد والتحصينات الدفاعية والأسوار والبوابات ، والمجسمات والتماثيل وغيرها .

٦. وبسبب التوسع الآشوري ، تأثرت وأثرت المدن الآشوري بالحضارات المجاورة ، كالحضارة في سوريا وعيلام وغيرها ، في شتى المجالات .

٧. في عهد آشور ناصر بال الثاني تطورت الزراعة والتجارة ، واستفاد الآشوريون من أسرى حروبهم ، لتسخيرهم في الأعمال الزراعية ، وفي تسيير القوافل التجارية .

٨. قسم آشور ناصر بال الثاني امبراطوريته إلى مقاطعات و أقاليم رئيسية ، حتى يسهل حكمها وإدارة شؤونها .

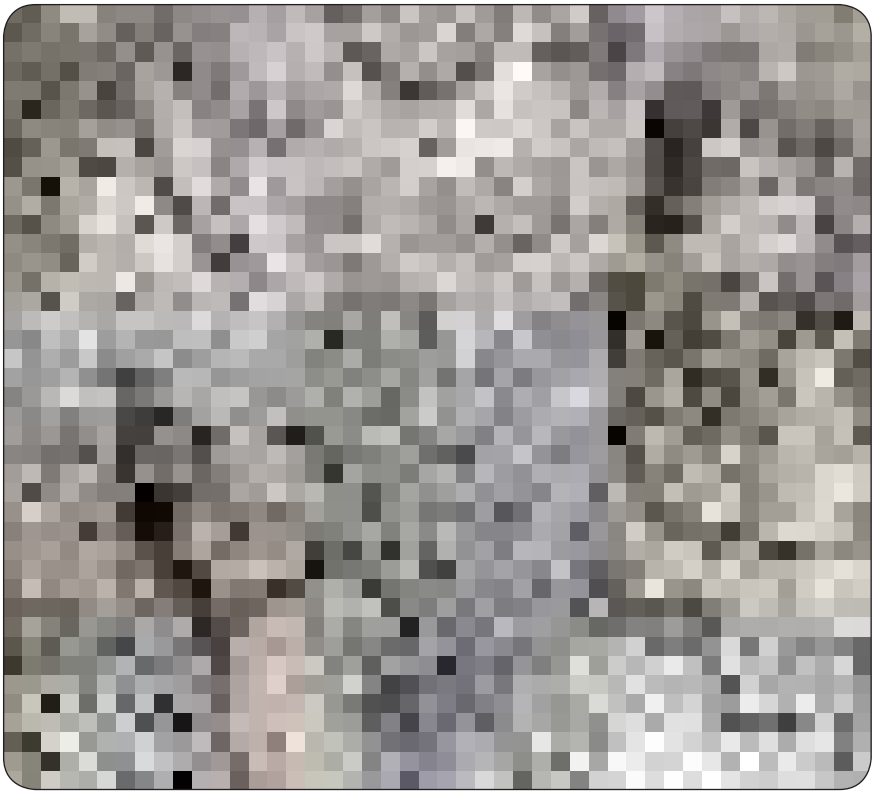

(صورة منحوتة لآشور ناصر بال الثاني)

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولًا: المصادر والمراجع العربية:

١. إبراهيم محمد علي الهلالي: علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي من العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (٩١١-٥٣٩ق.م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٢. أحمد أرحيم هبو: تاريخ الشرق القديم (بلاد مابين النهرين) ،ج٢، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، صنعاء، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣. أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م.

٤. أحمد زيدان خلف صالح الحديدي: علاقات بلاد آشور مع الممالك الحيثية الحديثة في شمال سوريا (٩١١___٦١٢ق.م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥. أزهار هاشم شيث: الدعاية والاعلام في العصر الآشوري الحديث، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٠م.

٦. الأب ألبير أبونا: الآراميون في التاريخ، دار المشرق الثقافية، دهوك، ٢٠١٠م.

٧. انطوان مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان وعلي أبو عساف وقاسم طوير، ١٩٥٠م.

٨. بورت : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة محرم كمال ، مراجعة عبدالمنعم أبو بكر ، القاهرة ، د:ت.

٩. ج.كونتنو : الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة ، مراجعة طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

١٠. جان مازيل : الحضارة الفينيقية الكنعانية ، ترجمة ربا الخش ، مراجعة عبدالله الحلو ، دار الحوار ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٩٨م.

١١. جورج رو : العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٤م.

١٢. حسن محمد محي الدين السعدي : في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق-إيران-آسيا الصغرى) ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤م.

١٣. خالد موسى عبد الحسيني : القانون و إدارة الدولة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م .

١٤. رضا جواد الهاشمي : نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، بغداد ، ١٩٧١م .

١٥. رياض عبد الرحمن أمين الدوري : آشور بانيبال ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦م.

١٦. طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الوراق للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩م .

١٧. عامر سليمان : العصر الآشوري -كتاب العراق القديم- ، بغداد ، ١٩٨٣م.

١٨. عامر سليمان : العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ السياسي) ، ج١ ، الموصل ، ١٩٩٢م.

١٩. عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان : محاضرات في التاريخ القديم ، بغداد ، ١٩٧٨م.

٢٠. عبدالعزيز الياس سلطان : عوامل أساسية أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية ، دراسات موصلية ، عدد ٢٩ ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢١. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم - مصر و العراق - ، د:ط ، ١٩٨٠م .

٢٢. عبد القادر خليل : السياسة الخارجية للملك آشور ناصر بال الثاني ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٣٤ ، ١٩٨٧م .

٢٣. عبدالقادر عبدالجبار الشيخلي : الوجيز في تاريخ العراق القديم ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، ط٢ ، ٢٠١٤م.

٢٤. عبد المعطي محمد سمسم : العلاقات بين شمال شبه الجزيرة العربية و بلاد الرافدين ، إيتراك للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م.

٢٥. عبدالوهاب حميد رشيد : حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - ، دار المدى للثقافة و النشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

٢٦. علي أبو عساف : الآراميون (تاريخاً ولغةً وفناً) ، دار أماني ، طرطوس ، ١٩٨٨م .

٢٧. عيد سعيد مرعي : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مكتبتي الخبتي الثقافية ، بيشة ، ١٤٢٤هـ.

٢٨. فاضل عبدالواحد علي وآخرون : العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م.

٢٩. فاضل عبدالواحد علي وعامر سليمان : عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٧٩م .

٣٠. كارلهاينز برنهردت : لبنان القديم ، ترجمة ميشيل كيلو ، مراجعة زياد منى ، قدمس للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٩م.

٣١. كمال عبدالعليم وسيد فرج راشد : اليهود في العالم القديم ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٢. كوزاد محمد أحمد : توكلتي ـــ ننورتا (منجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٣م.

٣٣. ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق ، بغداد ، ١٩٨٦م.

٣٤. ماجدة حسو : الصلات الآشورية الآرامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥م.

٣٥. محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٤١٠هـ ـــ ١٩٩٠م .

٣٦. محمد بيومي مهران : دراسات في الشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م.

٣٧. محمد بيومي مهران : دراسات في الشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م.

٣٨. محمد حرب فرزات و عيد مرعي : دول وحضارات في الشرق القديم ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٤م.

٣٩. محمد دسوقي حسن عبدالعزيز : التوسع الآشوري غرباً في عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٥ ـــ ٦١٢ق.م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

٤٠. محمد صالح طيب الزيباري : النظام الملكي في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩م.

٤١. محمد عبدالقادر : الساميون في العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

٤٢. منير الخوري : صيدا عبر التاريخ ، المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٦٦م .

٤٣. نبيل نور الدين حسين محمد الطائي : من حملات آشور ناصر بال الثاني في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١م.

٤٤. نيكولاس بوستغيث : حضارة العراق وآثاره (تاريخ مصور) ، بغداد ، ١٩٩٢م.

٤٥. هاري ساغز : عظمة آشور ، ترجمة خالد عيسى وأحمد غسان ، دار رسلان ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

٤٦. هاري ساكز : عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، ط٣ ، لندن ، ١٩٧٩م.

٤٧. وليد محمد صالح فرحان : العلاقات السياسية للدولة الآشورية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦م .

٤٨. يوسف خلف عبدالله : الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م) ، ط١ ، جامعة بغداد ، ١٩٧٧م.

٤٩. يوسف خلف عبدالله : الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٧٧م .

٥٠. يوسف الحوراني : البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم ، بيروت ، ١٩٧٨م .

ثانيًا: المصادر المراجع الأجنبية:

51. A . T . Olmsted , History of Assyria , (London-1960).

52. Curtis , J . E . and Reade , J . E , Art and Empir Treasures from Assyria in the British Museum , (London , 1990).

53. J . Gelb , Prisoners of war in Early Mesopotamia , JNES , va . 32 , No . 1\2 , 1973.

54. J.E.Reade , The Neo – Assyrian Court and Army.

55. Lawy , H . , "Nitokris Nagia" , JNES 11 , No 4 (1952).

56. Liverani , M . , "The growth of the Assyrian empire in the Habur Euphrates area : anew paradign , unpulished report , Roma , 1985.

57. Stremlin , B . , Constructing a multiparadigm history : Civilizations Ecumenes and world _systems in the Ancient Near East , New york , 2006.

58. Wiseman , D . J , A New Stel of Assur_Nassir_Pall 11 , Irag vol . x1v , 1952.

.95 .William J . Hamblin , Warfare in the Ancient Near East to 1600 BC Holy Warriors at the Dawn of History , First Edition , Routledge , (USA and Canada – 2006).

تقنيات البناء في عمارة المنزل القديم بقلعة الأخدود (نجران)[1]

أ. موضي بنت زايد الخالدي
باحثة دكتوراه في مجال الأثار القديمة
تخصص عمارة الجزيرة العربية قبل الإسلام – عمارة مدنية.

ملخص:

تعد عمارة المنزل من العمارة المدنية القديمة التي عمل الإنسان القديم على الاهتمام بها لما لها من دور أساسي في الحياة الخاصة بالمجتمع، حيث يمثل المكان الذي يقيم فيه.

وقد كشفت عمارة المنزل في قلعة الأخدود الأثريبمنطقة نجران على عدد من التقنيات المعمارية التي امتازت بها تلك المنازل، وتوضح الدراسة تلك التقنيات وتحليلها والتعرف على طرق تنفيذها، تُبرز نتائج علمية من حيث مهارة المعماري القديم، كما ستركز الدراسة على تقنية بناء الأساسات التي هي بمثابة النقطة الأولى التي يعتمد فيها بناء المنزل، إضافة إلى تقنية الجدران الداخلية التي بواسطتها كانت تتم عملية تقسيم المنزل لحجرات مختلفة، ثم نوعية الزخرفة التي نفذت على جدران المنازل الخارجية، والتي أثرت فيها الديانة بشكل رئيسي.

ويتبين من خلال الدراسة أن تلك التقنيات المعمارية كانت لها دلالة حضارية حول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي أنفرد بها المجتمع القديم في موقع قلعة الأخدود الأثري.

(١) هذا البحث مُستل من رسالة الماجستير (عمارة المنزل في موقع الأخدود في نجران قبل الإسلام) للباحثة.

مقدمة :

تقع منطقة نجران في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، يحدها من الشمال منطقة الرياض، ومن الشرق المنطقة الشرقية، وأجزاء من الربع الخالي، ومن الجنوب الجمهورية اليمنية، ويحدها من الغرب منطقة عسير، وتبلغ مساحتها بنحو ١٨٧،١٢٦كم[١] (الخريطة١).

ويقع موقع الأخدود الأثري على الضفة الجنوبية لوادي نجران، في أحد قرى نجران وتسمى القابل[٢]، وتبلغ مساحة الأخدود ١٣٠٠م٢ × ١٠٠٠م٢، وهو عبارة عن أرض ممتدة يوجد في وسطها القلعة (لوحة١)، وتبلغ مساحة القلعة ٢٥٠م٢ × ٢٥٠م٢ بالشكل المربع، ويشبه مخطط قلعة الأخدود المخططات الشائعة في العصر الهلينيستي إلى حد كبير، والذي يعرف بالجزر السكنية[٣]، ويتضح هذا المخطط من خلال الطريق العام الذي يشكل المحور الرئيس لمخطط القلعة، والذي يمتد من الشرق إلى الغرب، ويوازيه من كلا الجانبين عدة طرق ثانوية نتج عنها تشكيل لجزر سكنية، تتميز بوجود ساحة مفتوحة في الوسط، وتفتح البوابات الرئيسية للجزر السكنية باتجاه الطريق الرئيس المتجه من الشرق إلى الغرب، وقد بدا واضحاً وجود جزيرتين سكنيتين تقعان في الجزء الجنوبي من القلعة؛ الجزيرة الأولى في جنوب منتصف الطريق الرئيس إلى الوسط التي رمزت لها على مخطط القلعة بالرمز (HC1)، و تقع الجزيرة الثانية في الجزء الجنوبي الشرقي للقلعة

(١) الزهراني، عبد الله بن سالم، نجران: الموقع والمساحة ونطاق الإشراف الإداري، موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد الخامس عشر، (الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ٢٠٠٧م) ص٥.

(٢) الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقدمة تحوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية، القسم الثاني (الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د.ت) ص١٩٧.

(٣) تنقسم المدينة ضمن التخطيط الهلينستي كما هو الحال في مدينة أولينث اليونانية من القرن الرابع قبل الميلاد إلى شوارع رئيسية كبرى باتجاه شمال– جنوب تتقاطع معها شوارع فرعية باتجاه شرق – غرب، ينتج عن هذا التقاطع أحياء مستطيلة يضم كل منها صفين من المنازل تنفصل عن بعضها بممرات ضيقة، يفتح كل منزل على ساحة داخلية مفتوحة (فناء) ضمن بوابة رئيسية على الشارع العام. (Pedley1998: 289)، أيضاً وجد هذا التخطيط في سوريا الخاضع للسلوقيين خلفاء الاسكندر الأكبر، للمزيد انظر (الحمام، ١٩٩٤م: ٣٣، ٣٤).

ورمـزت لها بالرمز (HC2) ، (لوحـة٢) ، ويتم الدخـول إلى الجزيرتين السكنيتين عبر عتبة كبيرة تمثل البوابة الرئيسية على الشارع العام للقلعة، انظر اللوحتان(٣، ٤) قـوام العتبـة الأولى حجرة صخرية واحـدة، أما العتبة الثانيـة فهي عبارة عن عدة أحجار متراصة بجانب بعضها البعض بمهارة، ويبلغ طول كلا العتبتان ١٠،٣م تقريباً (لوحة٥) ، وقد بدت قلعة الأخدود بهذا التخطيط العام منظمة بشكل لافت.

كذلـك تخطيط (القلعة) الـذي يحيط بها سور كلي مربع الشـكل كان شائعاً أيضـاً في نمـط المدينة القديمـة في مدن جنوب الجزيرة العربيـة، مثل مدينة نقب الهجر، تمنع، شبوة، قرناو، نشق- يثل، مع اختلاف الشكل العام للمدينة المسورة[١].

استوطـن الإنسـان منذ القدم في موقـع الأخدود الأثري، وبحسـب الآثار التي عـثر عليها فإن تاريخ المنطقـة قد مر بأغلب العصور في جنـوب الجزيرة العربية، بـدأ بالعصر الحجـري القديم الأسفـل، ثم الأوسـط فالأعلى[٢]، وفي فـترة ما بعد العصـر الحجري الحديث توجه الإنسان القـديم إلى الاستقرار والمدنية من خلال استئناس الجمل[٣] مع بداية الألـف الثاني ق.م، حيث كان الجمـل أحد أهم عوامل التطـور الاقتصادي للشـرق الأوسط في العصـور القديمـة[٤] وكان يستخدم في نقل بضائعالبخـور واللبان والمر من جنوب الجزيرة العربيـة إلى شرقها وشمالها ماراً بمدينة نجران المحطة التجارية الكبرى على طريق القوافل التجارية[٥].

(١) الشـارخ، عبـد الله بن محمد، منطقة نجـران، موسوعة المملكة العربية السعوديـة، مج ١٥، (الرياض، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ٢٠٠٧م)ص١٣١.

(٢) الشارخ، عبد الله بن محمد، مرجع سابق، ص١٨٤-١٨٧.

(٣) الأنصـاري، عبد الرحمن الطيب، وصالح بن محمد جابـر آل مريح، نجران (منطلق القوافل)، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور: (٣)، (الرياض، دار القوافل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م)ص ١٨.

(٤) قـروم، نايقل، اللبان والبخور دراسة لتجارة البخور العربية، ترجمة، د. عبد الكريم بن عبد الله سحيم الغامدي، قسم الآثار والمتاحف، (الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٨م)ص٤٧-٤٨.

(٥) عبـدالله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن القـديم وآثاره بحوث ومقالات، الطبعة الثانية، (بيروت، دار الفكـر، ١٩٩٠م)ص;٢٢٠انظـر أيضاً الأنصاري، عبد الرحمن الطيـب، وصالح بن محمد جابر آل مريح، نجران (منطلق القوافل)، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور: (٣)، (الرياض، دار القوافل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م)ص ١٨-١٩.

وخلال الألف الأول قبل الميلاد ازدهرت نجران وأصبحت مدينة مهمة ومحطة تجارية بارزة في الجنوب، شكلت مع ممالك جنوب الجزيرة العربية (سبأ، معين، حضرموت، قتبان) مستفيدة من موقعها الاستراتيجي المميز، وتفاعلها مع مختلف حضارات الجزيرة العربية[1].

مما ساعد على التبادل الحضاري والمعرفي بين الشعوب والقبائل، وقد ذُكرت نجران في العديد من النقوش العربية القديمة، في سياق الحديث عن الحملات الحربية لملوك سبأ[2].

وسيستعرض هذا البحث التقنيات المستخدمة في عمارة منازل قلعة الأخدود بنجران، وكشف بعض الأساليب المتبعة في البناء كالتالي:

١. التخطيط.
٢. الأساسات.
٣. الجدران.
٤. الأسقف.
٥. الزخرفة.

١) التخطيط:

يعد التخطيط هو المرحلة الأولى التي تتبادر إلى ذهن المعماري القديم قبل البدء بحيز التنفيذ، حيث أنه يقوم على عدة معايير ، تحدد تلك المعايير كيفية بناء المنزل والأسس التي يقوم عليها، من أهمها حالة صاحب المنزل، ومهنته، وعدد

(١) العمري،عبد العزيز منسي، وآخرون، آثار منطقة نجران، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، (الرياض، وزارة المعارف،وكالة الآثار والمتاحف،دار الهلال للأوفست، ٢٠٠٣م)ص٥٩؛أنظر أيضاً بافقيه،محمد عبد القادر،تاريخ اليمن القديم، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م) ص١٤.

(٢) العتيبي، محمد بن سلطان،التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، رسالة دكتوراه منشورة، الطبعة الأولى، (الرياض، وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف،٢٠٠٦م).

أفراد الأسرة بالإضافة إلى تأثير الوضع الاجتماعي والاقتصادي، فيؤثر ذلك على حجم المنزل وتخطيطه وعدد الحجرات.

وتكاد تكون منازل قلعة الأخدود متشابهة في التخطيط المعماري، والذي يعتمد على توزيع الحجرات حول فناء المنزل، عدا أن هناك اختلاف في عدد الحجرات ومساحة المنزل. (لوحة٦).

يتحكم بعدد حجرات المنزل بمدى حاجة الأسرة إليه، فجميع المنازل تحتوي على فناء كبير مكشوف، يقع في وسط المنزل يدخل الدفء إلى أنحاء المنزل من خلال أشعة الشمس شتاءً، ويجنب الحرارة العالية صيفاً بسبب دخول الهواء عبر هذا الفناء لباقي أجزاء المنزل، ويلتف حول الفناء الوسطي عدد من الحجرات يكون جميع مداخل هذه الحجرات عبر الفناء، وظيفة هذه الحجرات تختلف في استخداماتها من منزل لآخر، ويرجح استخدامالحجرات الكبيرة لجلوس العائلة والاستقبال، أما الحجرات الصغيرة فقد تكون مخازن لجمع وحفظ الأطعمة نظراً لصغر حجمها، ويرجح أن تكون مداخل جميع الحجرات الست نحو جهة الفناء.

اعتمد نظام تخطيط المنازل في قلعة الأخدود على أسلوب تخطيط المنازل في مدن جنوب الجزيرة العربية منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد، حيث يتضح من معالم البناء القائمة حتى عصرنا هذا أن جميعها اعتمدت المنزل ذو الطوابق المتعددة، بحيث لا يوجد لها أي فتحه للنوافذ أو مدخل للمنزل على ارتفاع مترين تقريبا من سطح الأرض، وذلك ما يرجح هذه النظرية، شأنها بذلك شأن أغلب منازل جنوب الجزيرة العربية[1]، كالمنازل في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان ذات الجدران المرتفعة عن السطح والتي تصل بين ٢- ٤ م، ولم يكن فيها أي مظاهر لأي مداخل أو نوافذ، مما يدل دلالة واضحة أن المنازل كانت تتألف من أكثر من طابق[2].

(١) حنشور، أحمد إبراهيم، الخصائص المعمارية للمدينة اليمنية القديمة، دراسة تحليلية مقارنة، (اليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ القديم، ٢٠٠٧م)ص١٩٨.

(٢) دي مجريت، اليساندرو، روبان، كريستيان، تمنع العاصمة القديمة لقتبان، البعثة الإيطالية للآثار في جمهورية اليمن،ترجمة/ مالك الوسطي، صنعاء، ٢٠٠٦م، ص١٩.

وقد رسم الباحث الايطالي (J-M. Gassend) تصور افتراضي لهيكلية بناء إحدى المنازل الخاصة في معين ضمن البعثة الأثرية الإيطالية[1] (لوحة٧)، بما يتماثل مع أسلوب الطوابق المتعددة في منازل الأخدود و التي توجد بداخل القلعة.

٢) الأساسات:

أولى المعماري القديم جل اهتمامه لطريقة بناء أساسات المنزل، ذلك لأن جدران المنزل يرتكز عليه، وبقاء المنزل لأطول مدة يحتاج تقنية أساسات قوية تتناسب مع جغرافية الموقع ومدى تتحمل عوامل الطبيعة ومختلف التحديات. وقد اعتمد المعماري في بناء منازل قلعة الأخدود على حجارة الجرانيت المتوفرة في الجبال القريبة من الموقع.

بُنيت المنازل على قاعدة صلبة ومستوية، وقاعدة منخفضة في أحيان أخرى، وهو ما أدى إلى استخدام الحجارة والرديم لسد فراغ الأماكن المنخفضة.

اعتمد في بناء أساسات منازل قلعة الأخدود على تقنية واحدة:

تتكون الأساسات من أحجار الجرانيت الغير مشذبة، حجر الجرانيت هو حجر ناري تكون في باطن الأرض تحت ضغط وحرارة عالية، له عدة ألوان منها الأسود، الرمادي، والبني، وهو نسيج خشن الحبيبات يتكون من عدة معادن[2]، حيث يقوم المعماري بوضعها بشكل منتظم كحجر أساس، ويقوم بالربط بينها بمونة طينية، ويكون حجم الأساسات أعرض من الجدار الذي يمتد أعلاها، وقد عمد المعماري هذه التقنية حتى تكون الأساسات قاعدة قوية صلبة يرتكز عليها جدران المنزل لمقاومة ظروف الطبيعة.

وقد أظهر المعماري حرفية عالية و براعة في تقنية بناء الأساسات دل على ذلك استمرارية المنازل من الألف الأول ق.م حتى وقتنا الحاضر.

(١) دي مجريت، اليساندرو، روبان، كريستيان، مرجع سابق، ص ٥١.
(٢) الدهان، سعيد، مبادئ علم الأرض، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص٧٥.

٣) الجدران:

استخدم لبناء جدران منازل قلعة الأخدود تقنيتين، الأولى: وهي تقنية بناء الجدار ذو وجه واحد (لوحة٨)، وهو عبارة عن بناء الجدار بصف واحد من حجارة الجرانيت، وتكون الحجارة مشذبة من جهة الخارج، وذلك من أجل أن يعطي منظراً جميلاً للمنزل، أما من جهة الداخل فهي ليست مشذبة بل تترك على طبيعتها، ويقوم البنّاء بتعبئة الفراغات بقطع من الحجارة الصغيرة لسد الفراغات بين الحجارة ثم يعمل مونة طينية لتتماسك أكثر، الثانية: وهي بناء الجدار ذو وجهين(لوحة٩)، بحيث يكون بناء الجدار من صفين من الحجارة الجرانيتية، ويقوم البنّاء بتعبئة الفراغ بين الصفين بقطع من الحجارة الصغيرة وأيضاً بالمونة الطينية لتظهر ككتلة واحدة.

وتحتوي جدران بعض المنازل على عتبات صخرية بطول متر تقريباً (لوحة١٠) قد تكون استخدمت للمدخل الرئيس للمنزل.

٤) الأرضيات:

لم تظهر جميع أرضيات الحجرات في المنازل وذلك بسبب وجود رديم من التراب ولم يتم التنقيب داخلها حتى الوقت الحاضر، عدى منزل واحد احتوى أرضية الحجرات على طبقة جصية يتراوح سمكها بين٥-٧ سم تقريباً، ربما دل ذلك على أن عملية التجصيص تكررت عدة مرات بهدف التجديد[١] (لوحة١١)، كذلك عثر في أرضية نفس المنزل على أحجار اسطوانية الشكل تقريباً، في وسط الحجرات الكبيرة، يرجح أنها استخدمت كقواعد لأعمدة وضعت في وسط الغرف لرفع السقف[٢].

(١) الزهراني، عوض بن علي، وآخرون، ٢٠٠١م: تقرير مبدئي عن حفرية الأخدود بمنطقة نجران الموسم الثاني ،حولية الآثار العربية السعودية: أطلال،ع١٦، (الرياض، وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف، ١٩٩٦)ص١٦.

(٢) الزهراني، عوض بن علي، وآخرون، مرجع سابق ص١٧.

مستوى أرضية المنازل من الداخل منخفض عنها في الخارج، بين ذلك طريقة الدخول إلى المنزل من أعلى إلى أسفل بواسطة عتبات حجرية، وهي تشابه بذلك نمط عمارة المنازل التقليدية في منطقة نجران.

٥) الأسقف:

اتضح أن تسقيف المنازل في موقع قلعة الأخدود الأثري جاءت على أسلوبين:

الأول: التسقيف بالعوارض الخشبية ثم يوضع فوقه سعف النخيل الذي يغطى بالطين المدكوك. والذي عثر عليه منتشراً في الأرجاء (لوحة١٢)، وقد اشتهرت هذه الطريقة في جنوب الجزيرة العربية[١].

الثاني: التسقيف بالدعامات الخشبية أو الحجرية، وذلك بوضع العوارض الخشبية على الجدار مباشرة أو على العمود المثبت على القاعدة بواسطة التجويف الذي يوجد في وسط القاعدة، ويكون العمود إما خشبي أو حجري، ثم يوضع فوق العوارض الخشبية طبقة من أغصان الأشجار أو سعف النخيل، ثم الطبقة الثالثة تستخدم فيها الطين والتبن، وإذا جف يوضع فوقه الطبقة الرابعة، وهي عبارة عن الجير المطفي (النورة)، وتعتبر هذه التقنية في التسقيف منتشرة في العمارة السكنية في مدن جنوب الجزيرة العربية[٢]. (لوحة١٣).

٦) الزخرفة:

تتميز جدران منازل موقع قلعة الأخدود الأثري بوجود أنواع مختلفة من الزخارف الغائرة المنفذة على جدرانها الخارجية في مستويات مختلفة، وقوامها زخارف آدمية، حيوانية، نباتية، هندسية، رموز كتابية، تختلف في أحجامها وطرق تنفيذها.

(١) حنشور، أحمد إبراهيم، مرجع سابق، ص١١١.
(٢) حنشور، أحمد إبراهيم، مرجع سابق، ص١١١.

تمثل هذه الزخارف شعارات دينية ورموز اجتماعية وسياسية، مما له علاقة بثراء صاحب المنزل وربما مكانته الاجتماعية أو الدينية.

ويمكن إيجاز زخارف منازل قلعة الأخدود في الآتي:

١ - زخارف حيوانات:

١. **الثعبان:** يعتبر الثعبان من أكثر الزخارف الذي تم تكرار رسمها على واجهة أحد جدران منزل موقع الأخدود الأثري(لوحة١٤) حيث تكرر أربعة مرات، يعد الثعبان رمز الحكمة والمعرفة لانتزاعه الأسرار من جوف الأرض، ويرمز أيضاً للخلود لتغييره لجلده كلما شاخ، كذلك يعتبر الحامي والحارس لنومه وعيناه مفتوحتان[١]، وقد اتخذه اليمنيين القدماء رمزاً لمعبودهم الإله ود[٢]، وكان يمثل رمز القوة والخلود

٢. **الجمل:** ذو السنام الواحد، وقد جاء نحته مرتين على الجدار الشمالي، الأول: نُفذ بطريقة بدائية تفتقر إلى المهارة (لوحة١٥)؛الثاني: نفذ بطريقة أكثر مهارةٍ واحترافية(لوحة١٦)، وكانت الإبل من أكثر النذور التي تقدم خصيصاً للإله ذي سماوي إله نجران قديمًا؛ لذا لا غرابة من نحت هذا الحيوان على صخور الأخدود، كونه من رموز الإله ذي سماوي، وتحديدًا لدى سكان شعب أمير الواقعة قرب نجران[٣].

٣. **الحصان أحادي القرن (لوحة١٧)**، وهو حيوان خرافي على شكل حصان له قرن يبرز من جبهته، وليس لهذا الحيوان شبيه في فنون الجزيرة العربية، رغم شيوع نحت الحيوانات الخرافية في جنوب الجزيرة العربية، ولعل

(١) الفواز، رشا، الزخارف المعمارية في موقع الأخدود، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، جامعة الملك سعود، الرياض ص٨٨.

(٢) براندن، ألبير فان دين، تاريخ ثمود، ترجمة: نبيل غزاوي، (دمشق، الأبجدية للنشر، ١٩٩٦م)ص٨٩.

(٣) الصلوي، ابراهيم، نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني، دراسة في دلالاته اللغوية والدينية، (صنعاء، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد٢٠، ٤٢، ١٩٩٧م)ص٢٧، انظر أيضاً القحطاني، محمد سعد عبده، آلهة اليمن القديم الرئيسية ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي، دراسة أثارية تاريخية، (اليمن، رسالة مقدمة إلى قسم الآثار لنيل درجة الدكتوراه في الآثار القديمة، جامعة صنعاء، ١٩٩٧م)ص١٧٦.

هـذا الحصان ذو القـرن الواحد هو المذكور في الأساطـير الإغريقية، وفي معظـم أساطير الشعوب، بما فيها الشعوب العربية، فقد جاء في كتب عدد من المؤرخين العرب ذكر لهذا الحيوان باسم (الحَريش)، و وصفها بقوله: دابة لها مخالب كمخالب الأسد، ولها قرن واحد في هامتها ويسميها الناس بالكركدن[1].

٢- زخارف آدمية:

نحـت علـى أحد المنازل نقش علـى هيئة رَجُل يحمل ما يشبـه جذع الشجرة؛ أيضـاً عثر على رسم يمثـل طبعة حقيقية لقدم آدمي بالـغ؛ و رسم لكفين، يمثلان طبعتـان حقيقيتان لكف آدمي بالـغ والآخر صغير بالعمر، وقد عرف رمز الكف أنه شاع في عمارة جنوب الجزيرة العربية كدلالة على تعاويذ للحماية ولدفع الأذى من شر وحسد ومرض وعين شريرة[2] (لوحة١٨).

٣- زخارف رمزية وكتابية:

عـثر في منـازل قلعـة الأخدود الأثـري على عدد مـن النقوش بالخـط المسند الجنوبي، و رموز للالهة، نفذت على أحجار رسوبية، أو جيرية، أو صخرية كما يلي:

١. مكـون من حرفين بخط المسنـد مدمجين (طغراء)، الحـرف الأولي شبه حرف الألف (أ)، وفيأعلاه يتصل به هلال صغير، أما الحرف الثاني (ذ) فهـو أصغر حجماً من الأول وملتصق بـه من أسفل من جهة اليمين، فيمثل حـرف الذال بخط المسند الجنوبي، لكـن بالرغم من تشابه الرمز الأول و الثـاني بأبجديـة الخط المسند الجنوبـي، إلا أن البعض يـرى أن الحرفان يمثـلان رمـوز للآلهـة، وغالبا يأتي هـذان الرمـزان معاً، وقـد عثر على الرمزين في العديد من النقوش التي تعود إلى عهد المكاربة[3].

(١) الدميري،كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى،ج١، (حيدرأباد، ١٩٢٠م)ص٢١٢.
(٢) القحطاني، محمد سعد عبده، مرجع سابق، ص١٨٧.
(٣) القحطاني، محمد سعد عبده، مرجع سابق، ص١٨٩-١٩٢.

ويعنـي الرمز الأول، الذي يأخذ هيئة الكأس، ويتصل به خطاً متعرج يشبه خـط البرق الـذي يسبق هطول الأمطـار، وهو يمثل الإله عشـتر إله الغيث والمطر، وفي أعلى الرمز جاء رمز آخر متصل به على هيئة هلال وهو يمثل الإله القمر[1].

أما الرمز الثاني، فهو عبارة عن خطين رأسيين متوازيين يعترضهما خطين أفقيين و يمثل إله القمر ذو سماوي[2].

٢. ويمثل النقش حرف الدال بالمسند الجنوبي(د)، وقد يعني النقش الحرف الأول لصاحـب المنـزل، وربما ما تبقى من كلمـة (و د)، أي اسم الإله ود، وهو الأرجح.

٣. يحتـوي النقش على أربعة أحرف بالمسنـد الجنوبي(لوحة٨)، على نحو(ذ ر أ ن)، وتقـرأ (ذ ر أ ن)، وقـد يكـون ذرأن بمعنى (مذرأن) وهو شهر من شهـور السنـة بحسب التقويم الحمـيري، ويقابله في الميـلادي شهر يوليو، ويـدل على معرفة الفلاحين الدقيقة للبدء في الذراء وهي مرحلة البذر في الزراعة[3] (لوحة١٩).

٤. نقـش مكون من سطريـن على ستة أحرف مكتوبة بخـط المسند الجنوبي، علـى نحـو(و د م أ ب م)، وتقـرأ (و د م أ ب م)، أي: الإلـه ود هـو الأب، أي: الحامـي، ويعتبر الإله ود أحـد أبرز الآلهة في جنوب الجزيرة العربية، وتحديداً هو الإله الرئيس لمناطق معين[4]، وكثيرًا ما تكرر كتابة هذه الصيغة المركبة من اسم المعبود (ود) ومن كلمة (أب) على جدران منشآت المباني

(١) القحطاني، محمد سعد عبده، مرجع سابق، ص١٩١.

(٢) برانـدن، ألبير فان دين، تاريخ ثمود، ترجمة: نبيل غـزاوي، (دمشق، الأبجدية للنشر، ١٩٩٦م)ص٨٩. أنظر أيضاً القحطاني، محمد بن سعد عبده، مرجع سابق، ص١٩٣.

(٣) العنسـي، يحيى بن يحيى، الأشهـر الزراعية الحميرية ومصادر تسميتهـا، (الجمهورية اليمنية، مجلة الإكليل العدد٣٩ يناير، صنعاء، وزارة الثقافة، ٢٠١١م)ص١١٨.

(٤) القحطاني، محمد سعد عبده، مرجع سابق، ص٧٨.

في جنوب الجزيرة العربية، وتسميته مرتبطة بالود والحماية[1]، واستخدمت بهدف الحماية وتعويذة له.

٥. ويمثل النقش حرف الألف بخط المسند الجنوبي(أ)، وربما حرف الخاء(خ)، وقد نفذ بطريقة أفقية، وهو من الرموز الدينية المرتبطة بالإله عثتر، ويعرف لدى الباحثين في الدراسات السبئية بحزمة البرق[2] (القحطاني١٩٩٧م:١٩١).

٦. نقش حرف التاء بالمسند(ت)، وقد نفذ بطريقة بدائية، قد يعني أول حرف من اسم علم.

٥- رموز هندسية:

وقوامها رسمين هندسيين، الأول: عبارة عن إطار مربع؛ أما الثاني: إطار بالشكل المستطيل، يقع الإطارين في زاويتي جدران أحد المنازل من الأعلى، ربما يكون هذين الرسمين مرتبطين بمعنى معين أو تعويذه من الشرور، وربما تكون مجرد زخارف تعطي منظر جمالي للمنزل.

عثر أيضاً على نحت غائر للعبة شطرنج، بعضها باللون الفاتح، وهو لون الحجر الأصلي والأخر المنحوت باللون الغامق،عدد المربعات الرأسية سبعة، أما الأفقية فعددها أربعة ويكون بذلك عدد مجموعها ثمانية وعشرون مربعاً، نفذت على حجر جيري بطريقة الحز.

٦-زخارف تصويرية:

يمثلها الهلال وقرص الشمس، ويعني الهلال الإله القمر، أما القرص فيشير إلى الإلهة الشمس، وهما من أبرز الرموز الدالة على المعبودات في جنوب الجزيرة العربية[3].

(١) الحاج، محمد علي، نقوش قتبانية من هجر العادي(مريمة قديما)دراسة في دلالاتها اللغوية والدينية والتاريخية، (الرياض، جامعة الملك سعود، سلسلة دراسات علمية محكمة، ٢٠١٥م)ص٢٦٠-٢٦١.

(٢) القحطاني، محمد سعد عبده، مرجع سابق، ص٧٨.

(٣) القحطاني، محمد سعد عبده، مرجع سابق، ص١٩٦.

بعد الدراسة لتقنيات عمارة المنزل في قلعة الأخدود الأثري بنجران من خلال الوصف والتحليل توصلنا إلى بعض النتائج

أولًا: النتائج:

١. من خلال عمارة المنزل في قلعة الأخدود الأثري يمكن لنا أن نؤرخ هذا الموقع إلى فترة الألف الأول قبل الميلاد.

٢. ظهر التخطيط العام لمنازل قلعة الأخدود الأثري أنها قد اعتمدت على التخطيط المعروف المتمثل في بناء الحجرات حول فناء مكشوف يتوسط المنزل.

٣. من خلال دراسة طبيعة المنطقة اتضح أن عمارة منازل قلعة الأخدود الأثري قد بُنيت على قاعدة صلبة ومستوية في بعض الأماكن، وهو ما أدى إلى استخدام الحجارة والرديم لسد فراغ الأماكن المنخفضة.

٤. توصلت الدراسة أن الحجارة الجرانيتية هي المادة الأساسية في بناء منازل قلعة الأخدود الأثري، وقد استخدمت في بناء الأساسات والجدران الداخلية حجارة غير مصقولة، أما الجدران الخارجية للمنازل فهي مصقولة لتعطي لمسات جمالية ودقة في الانتظام والربط فيما بينها، وقد استخدمت الأحجار الصغيرة والطين للربط أحيانًا فيما بينها.

٥. من خلال الدراسة التحليلية القائمة على ما تبقى من عمارة المنازل اتضح بأن تسقيف المنازل قد جاءت على أسلوبين، الأول: التسقيف بواسطة عوارض خشبية يحمل سعف النخيل الذي يغطى بالطين المدكوك، الثاني: التسقيف بالدعامات الخشبية أو الحجرية وذلك بعمل ركائز لها من الحجر في منتصف الحجرة يتم تغطيتها بسعف النخيل ثم يوضع الطين ويترك حتى يجف، يوضع فوقه طبقة أخيرة من الجير المطفي (النورة).

٦. من خلال حجم وطريقة بناء الأساسات الحجرية ربما اتضح أن عمارة المنازل في موقع قلعة الأخدود الأثري لم تكن مبنية من طابق واحد بل كانت لأكثر من طابق.

٧. ظهرت الدراسة أن عملية الدخول إلى منازل قلعة الأخدود الأثري كانت تتم من الأعلى إلى الأسفل بواسطة عتبات حجرية، وهو ما اتضح من خلال انخفاض مستوى المنازل من الداخل أكثر من الخارج، والتي ظهرت في بعض من عمارة المنازل التقليدية في منطقة نجران.

٨. اهتم المعماري القديم بتزيين عمارة منازل قلعة الأخدود الأثري بعمل زخارف خارجية على واجهات بعض المنازل من الخارج، كنوع من الزخرفة سواء كتابية وآدمية وحيوانية، والتي ربما تمثل شعارات دينية ورموز اجتماعية وسياسية، مما له علاقة بثراء صاحب المنزل وربما مكانته الاجتماعية أو الدينية.

الخرائط ، واللوحات

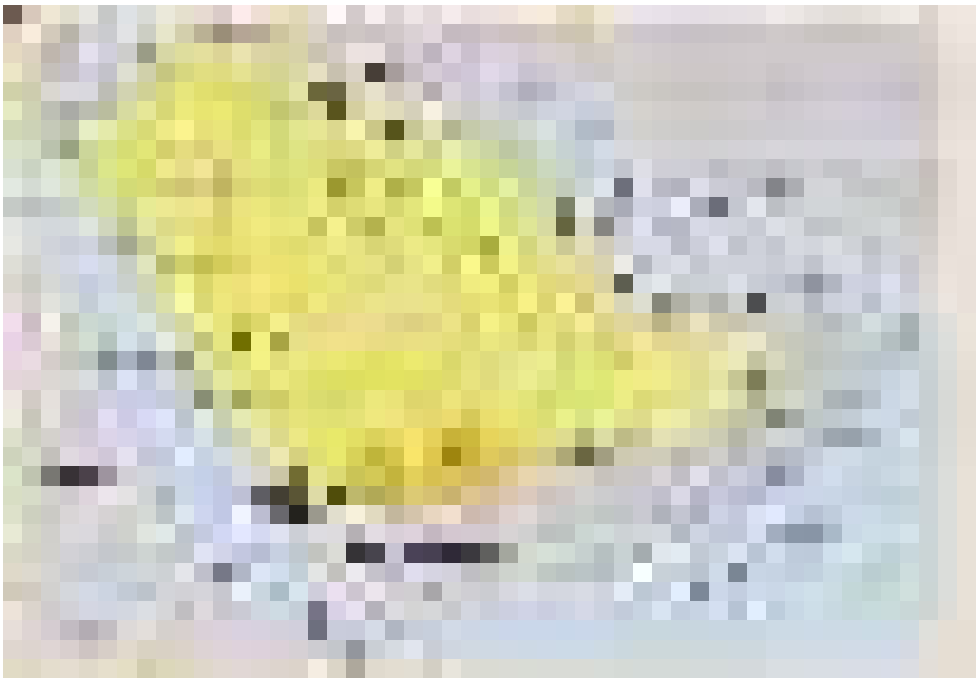

خريطة (١) موقع منطقة نجران ضمن مناطق المملكة العربية السعودية الإدارية الزهراني، عبد الله بن سالم، نجران: الموقع والمساحة ونطاق الإشراف الإداري، موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد الخامس عشر، (الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ٢٠٠٧م)ص٥.

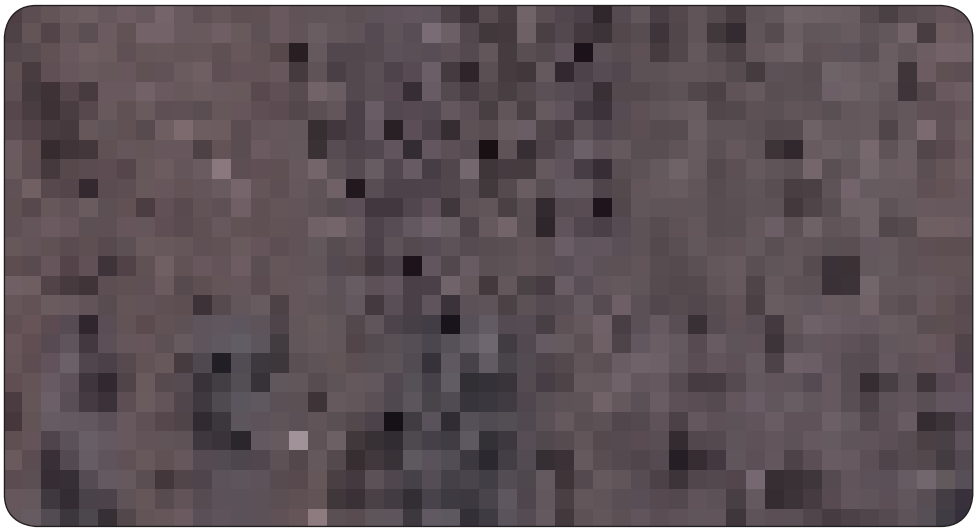

لوحة (١) صورة جوية لقلعة الأخدود. (صورة خاصة بالبحث عملت بواسطة مركز الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية).

لوحة (٢) مخطط قلعة الأخدود ويظهر فيه المنازل التي تم تناولها في هذا البحث مرقمة (عمل خاص للبحث بواسطة المهندس عصام حيدر).

لوحة (٣) عتبة المدخل الرئيس لنظام الجزيرة السكنية رقم(١) (تصوير الباحثة).

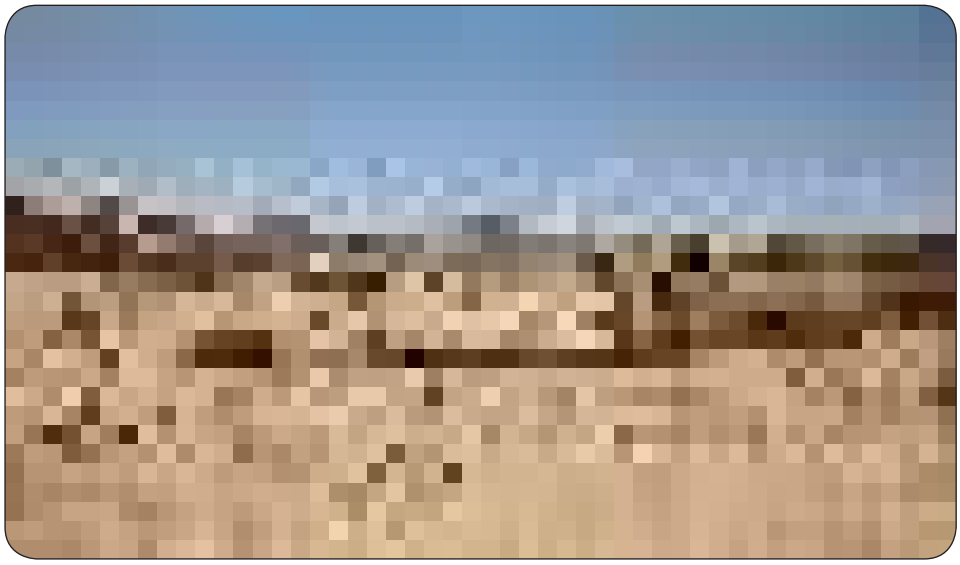

لوحة (٤)عتبة المدخل الرئيس لنظام الجزيرة السكنية رقم(٢) (تصوير الباحثة).

لوحة (٥)رسم توضيحي للعتبتان المدخل الرئيس لنظام الجزيرة السكنية رقم(١، ٢).
(عمل خاص للبحث بواسطة المهندس عصام حيدر).

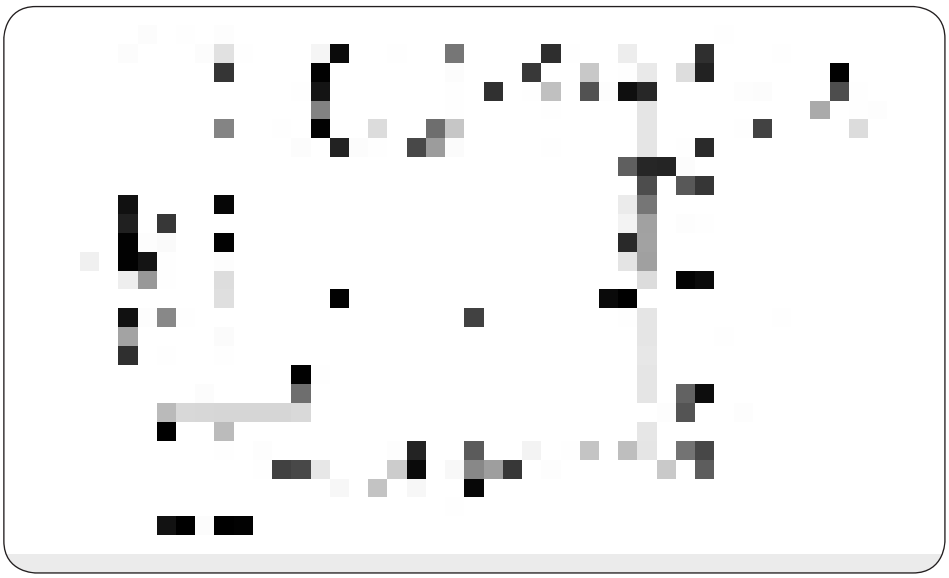

لوحة (٦) مخطط يمثل أحد نماذج تخطيط منازل قلعة الأخدود (منزل رقم٥). (عمل خاص للبحث بواسطة المهندس عصام حيدر).

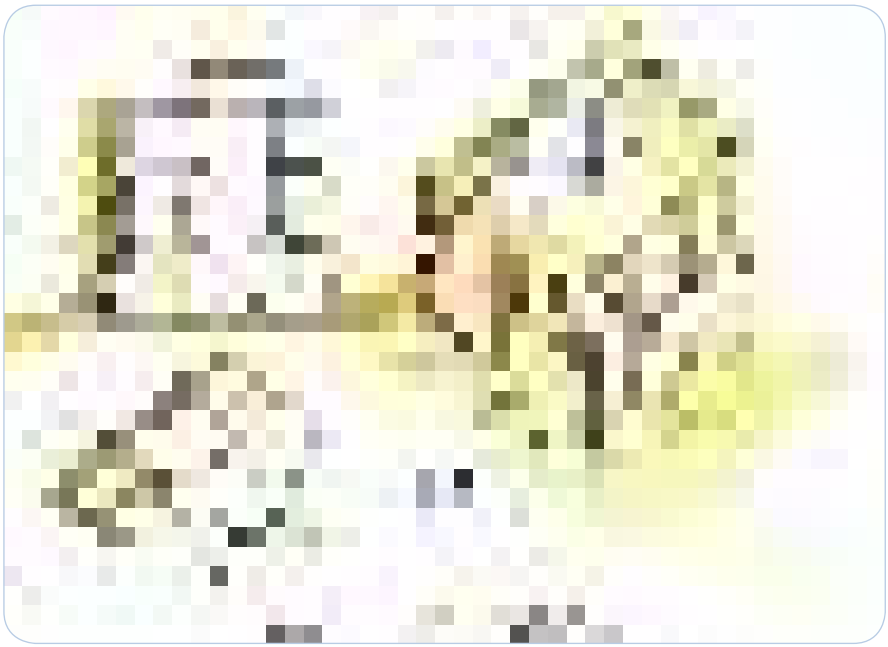

لوحة (٧) تصور افتراضي لهيكلية بناء إحدى المنازل الخاصة في معين، نقلاً عن (دي مجريت، روبان٢٠٠٦م: ٥١).

لوحة (٨) جدار أحد المنازل ذو الوجه الواحد، (منزل رقم٤) (تصوير الباحثة).

لوحة (٩) جدران أحد المنازل ذو الوجهين، (منزل رقم٦) (تصوير الباحثة).

لوحة (١٠) عتبات صخرية في الجدار الجنوبي (للمنزل رقم٤) (تصوير الباحثة).

لوحة (١١) إحدى حجرات المنزل رقم(٦) وتتضح الأرضية الجصية وقاعدة العمود، نقلاً عنالزهراني، عوض بن علي، وآخرون، تقرير مبدئي عن حفرية الأخدود بمنطقة نجران الموسم الثاني ١٩٩٦،حولية الآثار العربية السعودية : أطلال،ع١٦، وزارة التربية والتعليم، (الرياض، وكالة الآثار والمتاحف، ٢٠٠١م)لوحة٢٢ب.

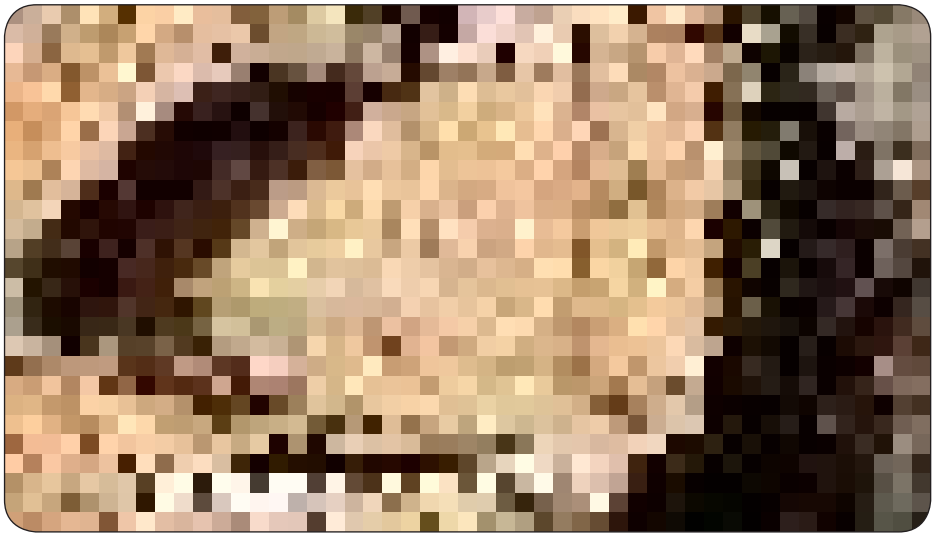

لوحة (١٢) جزء من الطين المدكوك المنتشر في الأرجاء. (تصوير الباحثة).

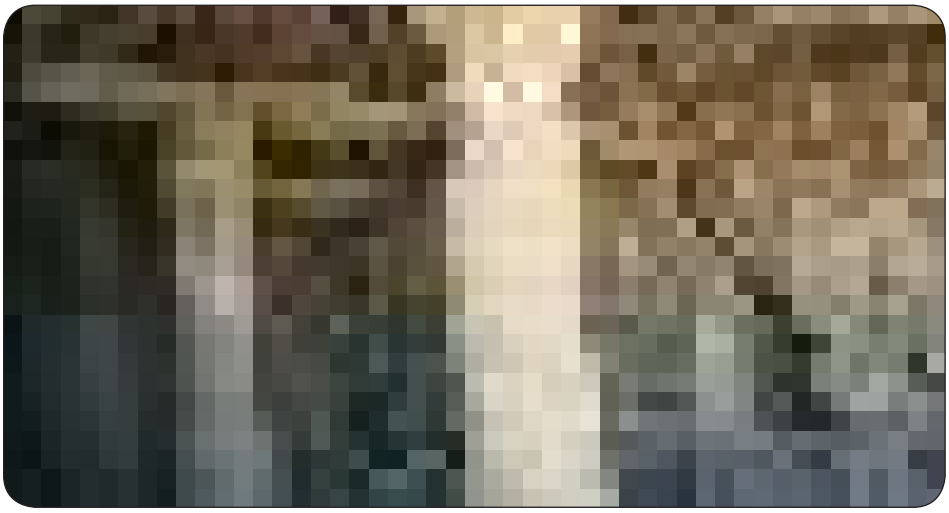

لوحة (١٣) التسقيف بواسطة الأعمدة والعوارض الخشبية في مدن جنوب الجزيرة العربية. (نقلاً عن حنشور، أحمد إبراهيم، الخصائص المعمارية للمدينة اليمنية القديمة، دراسة تحليلية مقارنة، (اليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ القديم، ٢٠٠٧م)ص١١١، الصورة٣٤.

لوحة (١٤) ثعبانين متشابكين على الجدار الشمالي (للمنزل رقم٥) (تصوير الباحثة).

لوحة (١٥) رسم بدائي يشبه حيوان الجمل ذو السنام الواحد على الجدار الشمالي (للمنزل رقم٥) (تصوير الباحثة).

لوحة (١٦) رسم حيوان الجمل على الجدار الشمالي (للمنزل رقم٥) (تصوير الباحثة).

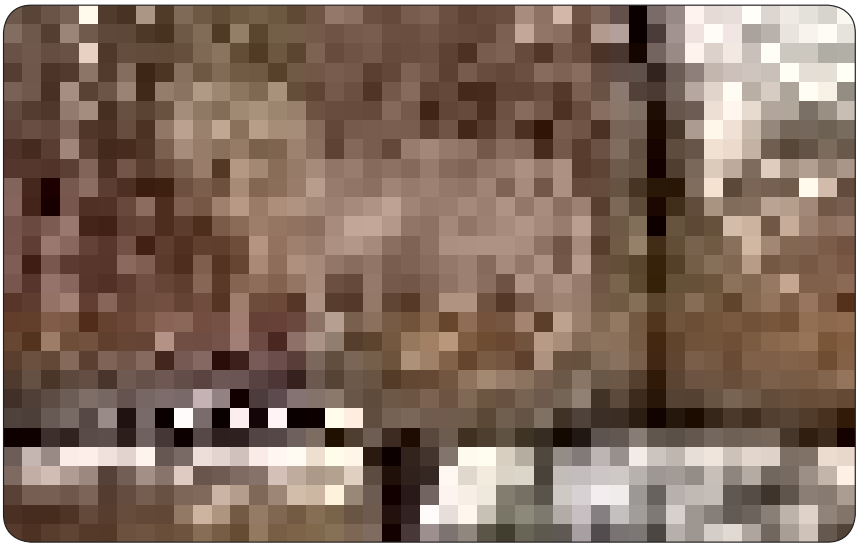

لوحة (١٧) رسم لحصان شديد الرشاقة له قرن من أعلى حاجبيه من بين أذنيه، على الجدار الشمالي (للمنزل رقم٥) (تصوير الباحثة).

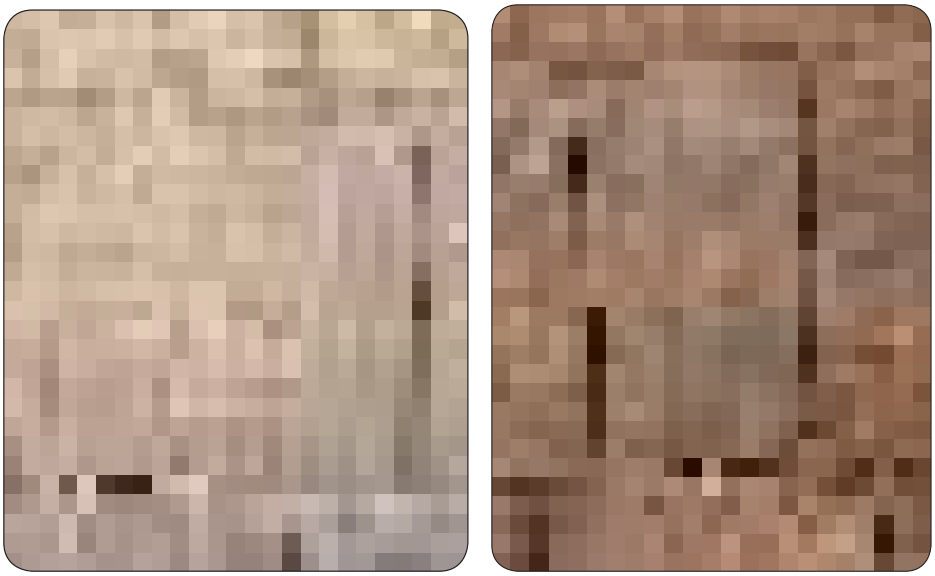

لوحة (١٨) رسم الكف اليمنى لآدمي بالغ (الصورة يمين)، وأخرى لصغير بالعمر (الصورة يسار) على الجدار الغربي (للمنزل رقم٥) (تصوير الباحثة).

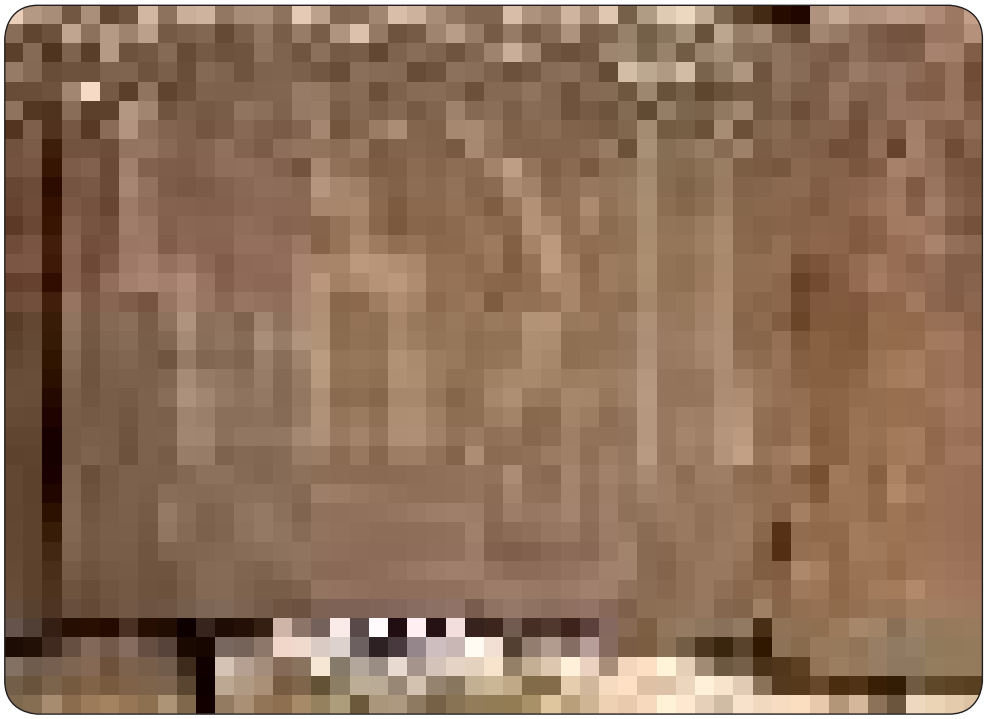

لوحة (١٩) نقش يحتوي على أربعة أحرف بخط المسند الجنوبي على الجدار الشمالي (للمنزل رقم٥) (تصوير الباحثة).

غدارة صوان من مقتنيات المتحف الوطني

أ.فاطمة ارفاعي العتيبي
ماجستير في الآثار الإسلامية
قسم الآثار كلية السياحة والآثار.

الملخص:

تتناول هذه الدراسة بالوصف والتحليل نوعًا محددًا من الأسلحة النارية التي عرفت في الجزيرة العربية خلال القرنين (١٢ -١٣هـ/١٨- ١٩م)، المشهورة باسم الغدارات التي تميزت بدقة صنعتها وجمال زخرفتها، ومثال ذلك تلك الغدارات الموجودة في المتحف الوطني بالرياض التي أفردنا واحدة منها في هذه الدارسة بالوصف والتحليل الفني، وقبل ذلك تقديم لمحة تاريخية بسيطة عن استعمال الأسلحة النارية والبارود في الجزيرة العربية، والأسباب التي أدت وشجعت إلى ذلك.

لمحة تاريخية:

عرفت شبه الجزيرة العربية الأسلحة النارية في فترات تاريخية متلاحقة، وصلت إلى المنطقة عن طريق احتكاكها بالدولة العثمانية، التي كانت تفرض سيطرتها آنذاك على العراق والأحساء، وكان يحكمها بنو خالد الموالون للدولة العثمانية، وقد شكلت أسلحة الجيش العثماني مصدرًا مهمًّا للأسلحة المهربة إلى بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية؛ حيث كانت تصل إليها عن طريق التجارة مع الدول الأوربية، وعن طريق المبادلات والمقايضات بين الأسلحة والحبوب المحلية [١].

وكانت منطقة نجد واحدة من بقاع شبه الجزيرة العربية التي انتشرت فيها الأسلحة في فترة الدولة السعودية الأولى بين القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م) [٢] بين القرنين (١٢-١٣هـ/١٨١٩م)، وكانت ذخيرة الأسلحة النارية البارود.

(١) - الهاشمي، رحيم كاظم محمد: تجارة الأسلحة في الخليج العربي ١٨٨٨- ١٩١٤م، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

(2) - Burkhardt (J.L):Notes on The Bedouins and Wahabys,London, 1930.

وقد وُجد البارود في جنوب شبه الجزيرة العربية، من قبل أهل اليمن وأنتج بمواد محلية؛ إلا أن هذه المواد كانت غير متوفرة بكميات كبيرة تسد حاجتهم من البارود، فاضطروا إلى استيراد ملح البارود من الخارج (الحضرمي:٥٢). ثم وصل البارود إلى نجد عن طريق اليمن وعمان، وتطور الأمر لاحقًا إلى صناعته في نجد؛ حيث يذكر صاحب لمع الشهاب: أن بارودهم أطيب بارود، فلا يحتاجون إلى جلب البارود من مكان آخر، ويصدر من نجد إلى بلاد العرب الأخرى [١].

وقد ذكر بوركهارت: أن أهل الجزيرة يصنعون البارود، وهو يتكون من الفحم النباتي وملح البارود، وكان يباع في المدن الكبرى (بالجريف ٢٠٠١: ١٥٥)، أما الفحم الذي كان يستخدم في صناعة البارود فكان يصنع من شجرة العُشَر، وهي منتشرة في شبه الجزيرة العربية، إلى جانب أشجار السدر والأثل والنخيل [٢].

وقد ذكر الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" أسماء (٢٢) موضعًا للتعدين، منها اليمامة (الرياض حاليًّا) [٣].وكانوا يحفظون البارود في محافظ ذات أشكال متنوعة، كالقرن والمكلى والمطارف، ويطلق عليها مذخر [٤]. وتُعد الغدارات من أهم الأسلحة النارية التي انتشرت في الجزيرة العربية خلال القرنين (١٢-١٣هـ/ ١٨-١٩م)، بوصفها من الأسلحة المهمة ذات المكانة العالية حينها.

الغدارات:

وتسمى كرواغ وطبنجة، وتعود هذه الأسماء إلى الخلافة العثمانية، وكانت الغدارات (المسدسات) مرتبطة جدًّا بأوروبا، واعتُمدت في وقت متأخر نسبيًّا في

(١) - الريكي، حسن بن جمال بن أحمد: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق عبدالله الصالح العثيمين، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥).

(٢) - الحضرمي، حسين محمد حسين الإبريقي الحباني: الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تحقيق: عبدالله أحمد محيوز، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

(٣) - الشويعر، محمد سعد: من المعالم الحضارية في قلب الجزيرة العربية قبل ٢٥٠ عاماً، الدارة، ع ٣، ١٩٩٠م.

(٤) الدغيلي، موضي عيد ضاوي: التنظيمات العسكرية في الدولة السعودية الثانية، (١٢٤٠- ١٣٠٩هـ/ ١٨٢٤ – ١٨٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ٢٠١٥م.

الإمبراطورية العثمانية، وكانت الغدارات المصنوعة محليًّا أدنى من نظيراتها الأوربية، وقد تسلح بها الرحالة الإنجليزي "Pococke" في الشرق حوالي عام (١١٥٣هـ / ١٧٤٠م)، وذلك بزوج من الغدارات (المسدسات) التي جذبت العين التواقة للشيخ المحلى، وحاول شراءها من الرحالة "Pococke" إلا أنه رفض. و كان قليل من الشيوخ لديهم مسدسات، إلا أن مسدس قفل الصوان الأوروبي ذا الجراب كان نادرًا حتى نهاية القرن التاسع عشر [١].

وقد عُرفت الغدارات أيضًا في بلاد الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية (العيسى ٢٠٠٤: ٦٧)، واستعملت في القرن السابع عشر، ومعظم النماذج الباقية منها تعود إلى القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م). [٢].

كما استخدمت في الولايات التابعة للدولة العثمانية أكثر من تركيا نفسها؛ ويعود ذلك إلى وجود القوى الأوربية بها وأقدم أنواع الغدارات هي المقمع[٣] والصوان[٤]،وتجدر الإشارة إلى أن وصول الغدارات إلى الجزيرة العربية كان مماثلا للأسلحة النارية الأخرى..

وعندما بدأت تجارة الأسلحة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي الثالث عشر الهجري كانت بداية انتشارها بطيئة، ثم انتشرت انتشارًا واسعًا، ونشطت بين أوربا وأقاليم سلطنة عُمان، وكانت الأسلحة في أغلبها صناعة بريطانية ما عدا قليلًا من الأسلحة البلجيكية الفرنسية. وكانت تباع لرجال القبائل في عمان

(1) - Elgood ،Robert:Firearms Of The Islamic World In The Tareq Rajab Museum، Kuwait,I.B. Tauris publishers, London,New York, 1995.

(٢) – نورث، انتوني، الأسلحة الإسلامية، ترجمة: سمير عبدالرحيم الجلبي، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

(٣) سمي بذلك نسبة إلى وجود قمع صغير يوضع على مخزن البارود، وهي تعبأ بالذخيرة والدرج من الفوهة ثم يدك عبر السبطانة ويرفع الزرفال ثم يضغط على الزناد فينطبق على القمع المتصل بمخزن البارود فيشتعل البارود. (الجنيدل ١٤١٧: ٢٢٧).

(٤) سميت بذلك نسبة إلى وجود حجر الصوان المثبت بالزرفال وتعمل عن طريق تعبئة الذخيرة أو الدرج عبر الفوهة وتدك بالمدك ويرفع الزرفال المثبت به حجر الصوان ثم يضغط على الزناد فينطلق ويحك بالقاذف المقابل للزرفال ويحدث الشرر فيشتعل البارود (العيسى ٢٠٠٤: ٧٥).

والقادمين من أنحاء الخليج العربي، وتصدر إلى أقاليم عمان والكويت وقطر والبحرين، كما كانت تهرب إلى الأقاليم الإيرانية والتركية ومنطقة الخليج العربي [١] .

وشاع وجود الغدارات وغيرها من الأسلحة في شبه الجزيرة العربية بهدف الدفاع عن النفس، وكان يمتلكها الأمراء وكبار الشخصيات[٢]،وقد لاحظ ذلك الرحالة الأوربيون في النصف الثاني من القرن (١٣هـ /١٩م) ودونوها في ملاحظاتهم[٣].

وقد استعملت الغدارات في شبه الجزيرة العربية في حادثة القبض على الأمير مشاري بن عبد الرحمن[٤]، مما يدل على وجودها إبان الدولة السعودية الثانية[٥].

وكان لأهل نجد خبرة كبيرة بصيانة الأسلحة وإصلاح العطوب بها[٦]،فضلًا عن مهارتهم في تحسينها وتزيينها بالفضة والذهب [٧]؛ وهذا يدل على اهتمام ملاك الغدارات بهذا النوع من السلاح ليس بوصفه أداة حرب فحسب، بل بوصفه تحفة فنية تنم عن الحالة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية لملاكها، فأصبحت بالنسبة لهم تحفة أثرية تستحق الاكتناز. وفيما يلي وصف نموذج منها: اسم

(١) – عبدالرحمن، عبدالوهاب أحمد: الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث (١٧٧٨ – ١٩١٤م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م.

(٢) العيسى، عباس محمد زيد: موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية (الأسلحة القديمة- الفروسية والخيل- الصيد والمصائد)، ج٣، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) عبدالرحمن، عبدالوهاب أحمد: الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث (١٧٧٨ – ١٩١٤م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م.

(٤) هو مشاري بن عبدالرحمن بن مشاري بن سعود أُسر مع من أسر على يد إبراهيم باشا بعد فتح الدرعية وأرسل إلى مصر وتمكن من الفرار عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م، ودخل في خدمة خالد الإمام تركي بن عبدالله وحاول قتل الإمام تركي ولكنه فشل في ذلك وفر إلى مكة ثم عفا عنه الإمام تركي وعاد إلى الرياض ورتب مؤامرة جديدة قتل فيها الإمام تركي بن عبدالله واستلم الحكم بقوة، ولكن فترة حكمة كانت قصيرة. (أبو علية ١٩٩١: ٤٥).

(٥) – بالجريف، وليم جيفور، وسط الجزيرة وشرقها، ترجمة صبري محمد حسن، ج١، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.

(٦) الهاشمي، رحيم كاظم محمد: تجارة الأسلحة في الخليج العربي ١٨٨٨- ١٩١٤م، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

(٧) الريكي، حسن بن جمال بن أحمد: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق عبدالله الصالح العثيمين، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥).

القطعة: غدارة صوان

مكان الحفظ: المتحف الوطني بالرياض
رقم السجل: ٢٣١١٩٩٧
المادة: حديد- خشب

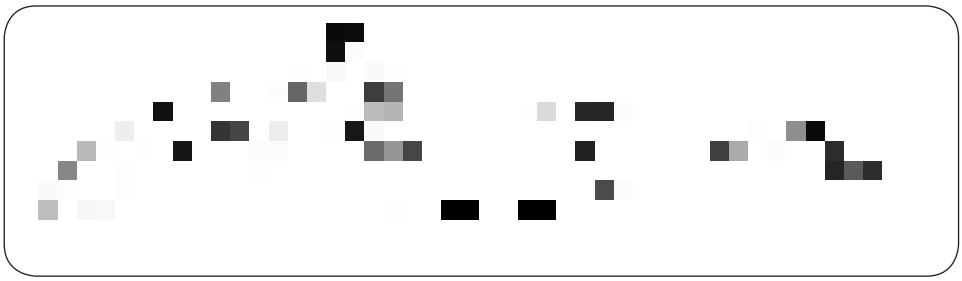

الوصف:

عبارة عن غدارة من نوع صوان ذات لون بني فاتح، صُنعت من الحديد والخشب المصفح بعض أجزائه بالفضة، يصل طولها من الفوهة حتى العقاب ٢٦سم.

سنعمل على وصف الغدارة من الأسفل بدءًا بالكعب حتى آخر جزء من السبطانة؛ حيث تظهر حذوة الكعب بشكل دائري مصفح بالفضة ولها جانبان مدببان ممتدان على جانبي الكعب ملتصقان به، وقد زخرفت الحذوة بنحت بارز على معدن الفضة يمثل شعارات تعود للدولة العثمانية عبارة عن ماسورة مدفع

محاطة بتوريقات نباتية، ومن أعلى اليسار بوق النصر، وزخرف الجانبان الممتدان على الكعب بنحت غائر عبارة عن نجوم وأهلة، وظهر على الكعب من الأعلى مما يلي الزرفال صحيفة معدنية حملت زخارف بنحت بارز فيه شعارات تمثل ماسورتين متعاقبتين تتوسطهما طبلة، وفي الأعلى شعار الهلال، وعلى الجانبان توريقات نباتية، ويظهر الكعب في شكله العام منحنيًا إلى الأسفل يشبه نصف دائرة، تبلغ ٥ , ٨سم.

أما وسط الغدارة فيظهر أكثر سمكًا؛ لاحتوائه على العقاب والريشة والزرفال ومخزن البارود؛ حيث يظهر في الأسفل العقاب بشكل نصف دائري تلتصق أطرافه بالخشب، ويمتد من وسط الغدارة حتى يصل الحدوة، وهو عبارة عن فضة صفحت على الخشب زخرفت بنجوم وأهلة بنحت غائر، وبداخل العقاب الريشة التي أخذت شكلًا مقوسًا لكي تتناسب مع إصبع الرامي المثبتة بحديد داخلي بجوف الغدارة، ويعلوها مخزن البارود المغطى من الجانبين بصفائح معدنية ثبتت بمسامير غائرة في الخشب، وعلى الجانب الأيمن يظهر الزرفال الذي يتحكم في البارود، وهو عبارة عن مسمارين متقابلين متعرجين بينهما مسافة صغيرة حتى يتحكم في فتحهما (شكل١). أما الجانب الأيسر فقد صفح بصحيفة معدنية زخرفت بشعارات للدولة العثمانية عبارة عن الطبلة في الأسفل، ويعلوها ماسورتان لمدفع بينهما هلال، ويليهما العلم، وعلى الجانبين توريقات نباتية.

أما السبطانة فتظهر بطول يبلغ نحو ٢٦ سم، وهي عبارة عن أسطوانة حديد لبست بالخشب حتى ما قبل الفوهة بحوالي ٥سم، وقد ظهرت السبطانة مجردة من الخشب، ومصفحة بثلاث حلقات معدنية لتثبيت الخشب على الحديد، وثبت في أسفل السبطانة مدك وهو قضيب من الحديد رفيع وطويل، مدبب الرأس، يدخل أسفل السبطانة، وظيفته شحن البارود من فوهة السبطانة إلى داخلها ودكه (شكل١).

التحليل:

١) تعد الغدارة غنية بالزخارف المتنوعة؛

مما يدل على قيمتها العظيمة لدى ملاكها وشملت عناصر زخرفية على النحو الآتي:

٢) الزخارف الهندسية:

تعدّ الزخارف الهندسية عنصرًا من عناصر الزخرفة الإسلامية منذ العصر الأموي، ولم يقفوا عند الأخذ بها، بل أبدعوا تكوينات جديدة رائعة، وأضافوا إضافة كبيرة خلال العصور الإسلامية [١].

النجوم: وردت النجوم في الفن الإسلامي خلال القرون المبكرة، وتُعد النجوم من أهم المكونات الأساسية لمعظم الأشكال الهندسية المركبة، وهي من ضمن الأساليب المستخدمة كثيرًا في الزخرفة الإسلامية [٢].

واحتلت مكانة بارزة في العصر العثماني، ونفذت بأساليب وهيئات عديدة، ونفذت النجوم متداخلة، وفي حين آخر شكل بعض الأثاث على هيئة نجمة، كما نوعوا في عدد زواياها، واستخدموا النجمة ذات الزوايا الخمس، والست، والثماني، والاثنتي عشرة [٣].وفي عصر السلطان سليمان القانوني أصبح الهلال والنجوم من الخصائص الذي اتسم بها الفن العثماني.

وظهرت النجوم على التحف العثمانية، ومن الأمثلة كرسي مصحف يعود للقرن (١٣هـ/١٩م) ازدان بأشكال نجوم سداسية الأطراف)، وقد وجدت النجوم مقترنة بالهلال في الأعلام على شعار الدولة العثمانية [٤]. ونقشت الأهلة والنجوم

(١) – مرزوق، إبراهيم: موسوعة الفن الإسلامي، مكتبة ابن سينا، ٢٠١٣م.
(٢) – الحارثي، ناصر بن عيضة: أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
(٣) – مرجع سابق ص ٣٠٨
(٤) مرزوق، إبراهيم: موسوعة الفن الإسلامي، مكتبة ابن سينا، ٢٠١٣م.

على السيوف العثمانية[١] وظهرت بعض رؤوس البلط (الفأس) بهيئة هلال [٢].

وقد ورد رسم النجوم يتوسطها هلال في الغدارة على العقاب شكل (٢).

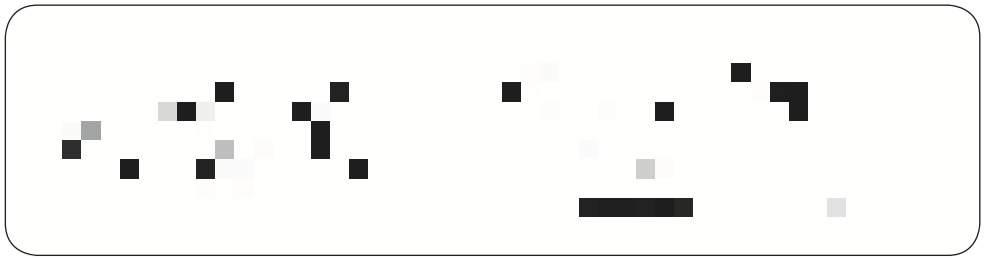

شكل (٢)

٣) الزخارف النباتية:

زخرفة الرومي: وهي عبارة عن ورقة نباتية تشبه أوراق الأكانتس ولكنها محورة بالطريقة المألوفة في زخارف الرومي في الفنون العثمانية، وهو اصطلاح فني أطلقه العثمانيون على الزخارف المحورة من الرسوم النباتية والحيوانية.

وأول من استعمل هذه الزخارف هم الأتراك القاطنون في وسط آسيا واستعملها السلاجقة، وأصبحت جزءًا من المدارس السلجوقية في إيران والأناضول، ثم طورها العثمانيون، وقد وردت في الكثير من الفنون العثمانية وعرفت بالطراز الرومي، أما الأوربيون فقد أطلقوا على هذا اللون الزخرفي آرابيسك [٣]. وقد وردت في عينة الدراسة محيطة بالشعارات الواردة على العينة من الجانبين شكل (٣، ٤).

(١) – خليفة، ربيع حامد: الفنون الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة، زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠١م.
(٢) – رزق، عاصم محمد: الفنون العربية الإسلامية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م.
(٣) – ماهر، سعاد: الخزف التركي، جامعة القاهرة، ١٣٨٠-١٩٦٠م.

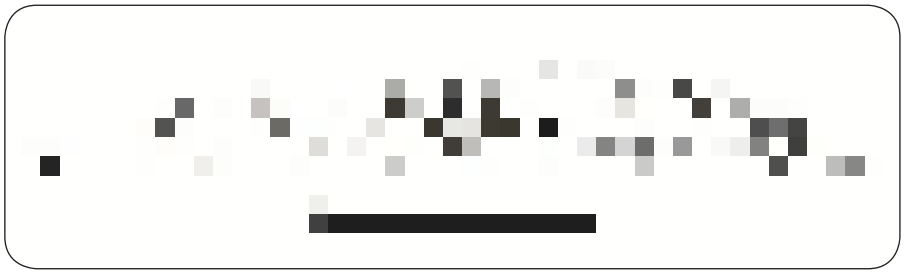

شكل (٣)

جـ) الشعارات:

١- تعد الشعارات عنصرًا زخرفيًّا يحمل دلالات حضارية وسياسية وعسكرية، ظهـر ذلك جليًّا في الفنـون التطبيقية والمعمارية في العصـور الإسلامية، وقد ورد على غدارة الدراسة العديد من الشعارات وهي على النحو الآتي:

٢- المدافع:

اهتـم العثمانيون بالجيش وإعداده حتى أصبح في القرن (٨-٩هـ/ ١٤- ١٥م) مـن أقـوى جيوش العالم آنذاك؛ ممـا يدل على قوة السـلاح وأهميته الكبيرة لدى السلاطين، واتخذوا من صور السلاح شعارًا لهم [١].

ومـن أهم الأسلحة المدفـع؛ فقد وردت كلمة طوب لدى العثمانيين بمعنى مدفع وطوبنجية أي رجال المدفعية، وتسمى رتبة رئيس الفرقة طوبنجي، ويعد وجود شعار المدافـع تخليدًا للمدافع الذي فتحت القسطنطينية؛ حيـث استخدمت المدافع لأول مرة في عهد مراد الثاني، وأنشئت المصانع في عهده لصهر المعادن وأنتجت مدافع من البرونز [٢].

(١) - نجم، عبد المنصف سالم حسن: شعار العثمانيين على العمائر والفنون في القرنين الثاني عشر والثالث عشـر الهجريـين (١٨-١٩م) وحتى إلغـاء السلطنة العثمانيـة "دراسة أثرية فنية"، مجلـة كلية الآثار جامعة القاهـرة، العدد العاشر، ٢٠٠٤م.

(٢) - عبدالغني، أحمد جلبي: أوضح الاشارات فيمن ولي مصر القاهـرة من الوزراء والباشات، تحقيق فؤاد محمد الماوي، دار الكتب، ١٩٧٧م.

وتظهر أحيانًا في شعارات الدولة العثمانية ماسورة المدفع فقط وأحيانًا مؤخرته وأحيانًا ماسورته والعجلات الحاملة له [1]، وقد ورد في عينة الدراسة ماسورتان لمدفعين متعاقبتين شكل (٣) و (٤)، وظهرت ماسورة مفردة شكل (٥).

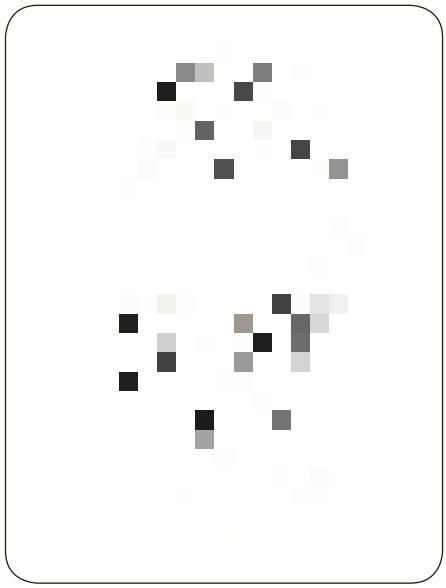

شكل (٤)

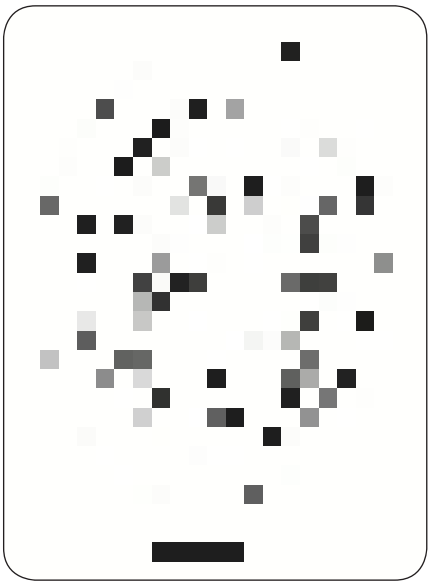

شكل (٥)

٣- الأعلام والرايات:

تعد الأعلام والرايات ذات مكانة عالية لدى العثمانيين في وقت السلم والحرب؛ لذلك هي من أبرز العناصر الزخرفية خلال القرنين (١٢-١٣هـ/ ١٨-١٩م)؛ حيث يرفع العلم في المعارك الحربية ويُحمل خلف السلطان، وحفظت أقدم الرايات في متحف طوبقا بوسراي، وتعود إلى عصر السلطان سليم الأول في القرن

(١) - نجم، عبد المنصف سالم حسن: شعار العثمانيين على العمائر والفنون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (١٨-١٩م) وحتى إلغاء السلطنة العثمانية "دراسة أثرية فنية"، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، العدد العاشر، ٢٠٠٤م.

(١٠هـ/١٦م). وللرايات أشكال متعددة وأحجام مختلفة [١]،وقد ظهرت في شكل (٣).

٤- الآلات الموسيقية:

استخدمت الآلات الموسيقية في العصر العثماني، وتعد من التقاليد القديمة وقت الحرب، وتَمثل ذلك في شعار الدولة بعدة أنواع، مثل الطبول والبوق والمزامير وغيرها. وقد ورد على غدارة الدراسة نوعان منها:

١- البوق:

البوق من الآلات المرتبطة بالنواحي العسكرية قديمًا ونسبت الرواية العثمانية اختراع البوق للملك الفارسي "منوجهر"، إلا أن أول من صنعه من المعدن المصريون، وقد ارتبط بالصيد لدى الساسانيين [٢].

واستمر استخدام البوق في العصور الإسلامية، وكان بداية معرفة العثمانيين له حينما أرسل السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد إلى السلطان الغازي منشورًا ومعه طبل وكرناي وهو البوق الخاص بالجنود، وقد انتشر هذا الشعار بعدة أنواع وأشكال على الفنون التطبيقية والمعمارية [٣]، وقد ظهر في عينة الدراسة شكل (٥).

٢- الطبلة:

تعد الطبلة إحدى آلات الإيقاع، وهي عبارة عن معدن مفرغ من الداخل، وهي من شعارات الفرقة الموسيقية العسكرية العثمانية، ولها عدة أنواع منها ذات الوجه

(١) مرجع سابق، ص ١٨٣.

(٢) البهنسي، صلاح أحمد: مناظر الطرب في التصوير الإيراني في العصرين التيموري والصفوي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٣) - نجم، عبد المنصف سالم حسن: شعار العثمانيين على العمائر والفنون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (١٨-١٩م) وحتى إلغاء السلطنة العثمانية "دراسة أثرية فنية"، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، العدد العاشر، ٢٠٠٤م.

وذات الوجهين، وتزين أطرافها بإطارات من الجلد أو القماش [1] وردت في عينة الدراسة طبلة ذات الوجهين شكل (٣) و(٤).

الخاتمة:

مما سبق يتضح أن الأسلحة النارية قد عُرفت لدى سكان شبه الجزيرة العربية منذ وقت مبكر، ولاسيما الغدارات التي حظيت بمكانة مهمة لدى قبائل الجزيرة العربية. وقد هدفت هذه الدراسة إلى تقديم دراسة وصفية وتحليلية لهذه الغدارات الموجودة حاليًّا في المتحف الوطني بالرياض. وقد أظهرت الدراسة ما تحويه تلك الغدارات من عناصر وظيفية، وفنية زخرفية عبرت عن الواقع الفني المحلي لتلك المرحلة التاريخية، وحجم التأثيرات الفنية من البلدان المجاورة، وقد انفردت الغدارات دون الأسلحة النارية بجمال زخرفتها ومكوناتها، وهو الأمر الذي جعل ملاكها ينظرون إليها بوصفها قطعة فنية حضارية، وليست أداة حرب فقط.

(١) – مرجع سابق، ص ٢١٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المراجع العربية:

١. بالجريف، وليم جيفور، وسط الجزيرة وشرقها، ترجمة صبري محمد حسن، ج١، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.

٢. البهنسي، صلاح أحمد: مناظر الطرب في التصوير الإيراني في العصرين التيموري والصفوي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣. الجنيدل، سعد عبداللهـ: معجم التراث السلاح، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.

٤. الحارثي، ناصر بن عيضة: أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥. الحارثي، ناصر علي عيضة: تحف الأواني والأدوات المعدنية في العصر العثماني دراسة فنية حضارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٦. الحضرمي، حسين محمد حسين الإبريقي الحباني: الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تحقيق: عبدالله أحمد محيوز، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

٧. خليفة، ربيع حامد: الفنون الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة، زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠١م.

٨. الدغيلي، موضي عيد ضاوي: التنظيمات العسكرية في الدولة السعودية الثانية، (١٢٤٠- ١٣٠٩هـ/ ١٨٢٤ – ١٨٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ٢٠١٥م.

٩. رزق، عاصم محمد: الفنون العربية الإسلامية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٠. الريكي، حسن بن جمال بن أحمد: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق عبدالله الصالح العثيمين، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥).

١١. الشويعر، محمد سعد: من المعالم الحضارية في قلب الجزيرة العربية قبل ٢٥٠ عامًا، الدارة، ع ٣، ١٩٩٠م.

١٢. عبدالرحمن، عبدالوهاب أحمد: الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث (١٧٧٨ – ١٩١٤م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م.

١٣. عبدالغني، أحمد جلبي: أوضح الاشارات فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق فؤاد محمد الماوي، دار الكتب، ١٩٧٧م.

١٤. أبو علية، عبد الفتاح: تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦هـ / ١٨٩١م، دار المريخ، ١٩٩١م.

١٥. ابن عيسى، إبراهيم بن صالح النجدي الحنبلي: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر والرابع عشر، ط١، الأمانة العامة الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٦. العيسى، عباس محمد زيد: موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية (الأسلحة القديمة- الفروسية والخيل- الصيد والمصائد)، ج٣، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٧. ماهر، سعاد: الخزف التركي، جامعة القاهرة، ١٣٨٠-١٩٦٠م.

١٨. مرزوق، إبراهيم: موسوعة الفن الإسلامي، مكتبة ابن سينا، ٢٠١٣م.

١٩. الهاشمي، رحيم كاظم محمد: تجارة الأسلحة في الخليج العربي ١٨٨٨- ١٩١٤م، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٠. نجم، عبد المنصف سالم حسن: شعار العثمانيين على العمائر والفنون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (١٨-١٩م) وحتى إلغاء السلطنة العثمانية "دراسة أثرية فنية"، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، العدد العاشر، ٢٠٠٤م.

٢١. نورث، انتوني، الأسلحة الإسلامية، ترجمة: سمير عبدالرحيم الجلبي، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1. Burkhardt (J.L):Notes on The Bedouins and Wahabys ،London، 1930.

2. Elgood ،Robert:Firearms Of The Islamic World In The Tareq Rajab Museum ،Kuwait ،I.B. Tauris publishers، London ،New York1995 ،.

نظرة عامة على برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار، جامعة الملك سعود وتطوره ومخرجاته - ١٤٠٨-١٤٣٨هـ/١٩٨٨-٢٠١٧م

أد. عبدالله عبدالسلام الحداد
أستاذ الآثار الإسلامية - قسم الآثار
جامعة الملك سعود

المقدمة:

يتناول البحث مخرجات برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار، جامعة الملك سعود، منذ فتح البرنامج سنة ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨-١٩٨٧م وحتى نهاية العام الماضي ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، وهي حقبة زمنية تمثل ثلاثة عقود من عمر البرنامج.

اعتمد البحث على إحصائيات الرسائل العلمية بوكالة الكلية للدراسات العليا، ووحدة الدراسات العليا بقسم الآثار، وسجلات الرسائل العلمية بمكتبة قسم الآثار، وإحصائيات تقارير القسم السنوية للأعوام ١٤٣٠-١٤٣٨هـ.

وتهدف الدراسة إلى:

- التعرف إلى نشأة برنامج الدراسات العليا.
- تحديد مراحل تطور مخرجات برنامج الدراسات العليا بالقسم.
- التعرف إلى مخرجات البرنامج وأنواعها.
- مقارنة نسب توزع أعداد الخريجين على تخصصات القسم.
- التعرف إلى اتجاهات الطلاب والطالبات وميولهم نحو تخصصات البرنامج.

قسم البحث إلى: تمهيد يتناول نشأة قسم الآثار، وأربعة مباحث: تناول المبحث الأول: التعريف ببرنامج الدراسات العليا ومراحله وأهدافه واشتراطاته، وتناول المبحث الثاني: مخرجات المرحلة الأولى من البرنامج فيما بين ١٤٠٨-١٤٢٦هـ/

١٩٨٨- ٢٠٠٦م، وهي الفترة التي كان القسم فيها ضمن منظومة كلية الآداب، فيما تناول المبحث الثالث: مخرجات المرحلة الثانية فيما بين ١٤٢٦-١٤٣٨هـ/ ٢٠٠٦-٢٠١٧م، وهي الفترة التي أصبح القسم فيها ضمن منظومة كلية السياحة والآثار، وتناول المبحث الرابع: مقارنة مخرجات المرحلتين الأولى الثانية وتحديد اتجاهات وميول الطلاب والطالبات نحو تخصصات البرنامج المتنوعة، كما اشتمل البحث على جداول إحصائية توضيحية لكل جزئية من جزئياته، وخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها، ثم قائمة لمصادر بيانات البحث.

التمهيد: نشأة قسم الآثار:

يعد قسم الآثار أول قسم متخصص على نطاق جامعات المملكة العربية السعودية، والجزيرة العربية، وأقدمها، بدأت نواة هذا القسم بإنشاء كل من: جمعية التاريخ والآثار ومتحف الآثار في كلية الآداب بالجامعة سنة ١٣٨٧ه/ ١٩٦٧م، ومن ثم أنشئ القسم كشعبة لدراسة الآثار ضمن منظومة قسم التاريخ كلية الآداب سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، واستمر كذلك حتى سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م عندما فصلت شعبة الآثار عن منظومة قسم التاريخ وحُوّلت إلى قسم مستقل متخصص بدراسة الآثار ضمن منظومة كلية الآداب والآثار (جامعة الملك سعود، ٢٠١٧م: ١٣)، وعند تأسيس كلية السياحة والآثار عام١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م بناءً على أمر المقام السامي الكريم رقم ١٠٣٦٣/م ب، وتاريخ ١٤٢٦/٨/٢٢ه-٢٠٠٦/٥/٢٦م، والمعطوف على قرار مجلس التعليم العالي رقم ١٤٢٦/٣٨/٧، بتاريخ ١٤٢٦/٥/٢٦هـ، انتقل القسم من منظومة كلية الآداب إلى منظومة كلية السياحة والآثار. (التقرير السنوي، ١٤٣٧هـ:٢)

وقد شارك القسم خلال مسيرته التعليمية في تأدية رسالته في إعداد كوادر عالية الكفاءة قادرة على دراسة الآثار، والمواقع الأثرية، وصيانتها، والحفاظ عليها، والكشف عنها، من خلال برامجه التعليمية المتعددة: برنامج البكالوريوس، وبرنامج الدراسات العليا بقسميه: الماجستير، والدكتوراه، إذ سعى القسم منذ تأسيسه جاهداً إلى تفعيل إمكاناته وقدراته لإثراء خبرات طلابه معتمداً في ذلك بعد الله عز وجل على الخبرات العلمية والفكرية لأساتذته، وموظّفاً كافة موارده في

استخدام أحدث المستجدات والأساليب العلمية والتقنية إلى جانب توظيف رؤيته الاجتماعية الفاعلة من أجل خدمة شركائه. (التقرير السنوي، ١٤٣٨هـ:٢).

كما سعى القسم طوال مسيرته إلى تطوير برامجه ومقرراته الدراسية باستمرار واستحداث برامج ومقررات جديدة على نحو يتناسب مع المتغيرات العلمية والأكاديمية، على اعتبار أنه يمثل أهم أقسام الكلية والوحيد فيها الذي تُدرّس فيه ثلاثة برامج تعليمية هي: برنامج البكالوريوس، وبرنامج الماجستير، وبرنامج الدكتوراه، كما عمل القسم على تطوير هذه البرامج بحسب تطور الدراسات الأثرية، وبحسب حاجة المجتمع، وبحسب حاجة الطالب إلى توسيع آفاقه ومداركه وخبراته بدراسة علوم أخرى مساعدة ومكملة لدراسة الآثار، ولذلك تضم برامج القسم مزيجاً من المعرفة الأكاديمية والمهارات المهنية، فإلى جانب دراسة مقررات الآثار القديمة والإسلامية، هناك مقررات في النظريات الحديثة في علم الآثار، والأنثروبولوجيا، والجيوأركيولوجيا، وتحليل المعثورات ودراستها، والمهارات الأثرية، وعلم المساحة، ومجالات المتاحف وصيانة الآثار، فضلاً عن الدراسات الميدانية والتدريب العملي في مجال التنقيب والعلوم المساعدة من ترميم وتصنيف، وتصوير، ورسم مساحي، وإعداد الخرائط، والمسوحات المغناطيسية (الجيوفيزيائية). (التقرير السنوي، ١٤٣٧هـ:٢)

وينبثق كل ذلك من رؤية القسم التي تنطلق من (الريادة المحلية والعالمية والتميز المعرفي في مجال الدراسات والبحث الأثري وخدمة المجتمع) (جامعة الملك سعود والآثار، ٢٠١٧م: ١٥) وفقاً لرسالة القسم المتمثلة في:

أ- السعي إلى تقديم برامج تعليمية متميزة على مستويات المراحل الثلاث: البكالوريوس والماجستير والدكتوراه وَفق المعايير الدولية.

ب- العمل على توفير أفضل برامج التدريب الميداني والمعملي لاكتساب الخريج المهارات في مجال العمل الأثري والعمل في حقول الثقافة الأخرى.

ج- الإسهام في نشر الأبحاث العلمية في نشر الوعي والمعرفة بالتاريخ الحضاري، والإسهام في خدمة المجتمع على المستويات الثقافية.

د- العمل على مراجعة برامج القسم الأكاديمية والعملية وتبني أفضل المستجدات في مناهج البحث الأثري وموضوعاته وحماية الآثار للاستفادة منها ثقافياً واقتصادياً. (دليل كلية السياحة والآثار، ٢٠١٦م:٤)

ومن خلال كلٍّ من الرؤية والرسالة يسعى القسم إلى تحقيق عدة أهداف تتمثل في: (جامعة الملك سعود والآثار، ٢٠١٧م: ١٦، التقرير السنوي، ١٤٣٨هـ:٤)

تهيئة الطلاب معرفياً ومهنياً لإجراء البحوث وممارسة العمل الأثري بما يلبي احتياجات سوق العمل.

٢- تمكين الطلاب من التعامل مع القضايا الأثرية ومعضلات التنقيب عن الآثار.

٣- إجراء الدراسات والبحوث ذات الصلة بتاريخ الجزيرة العربية بوجه عام والمملكة بوجه خاص.

٤- التعاون مع المؤسسات والمنظمات العلمية والبحثية والمهنية محلياً وعالمياً في مجال الدراسات الأثرية والبحث الأثري.

٥- الالتزام بالمعايير الوطنية والعالمية لرفع مستوى الجودة الأكاديمية.

٦- الارتقاء ببرامج الدراسات العليا معرفيًّا ومهنيًّا لمواكبة التطورات الأكاديمية العالمية.

٧- إعداد برامج تدريبية متطورة للباحثين والعاملين في القطاع الحكومي والهواة.

٨- تقديم الاستشارات العلمية والمهنية للقطاعين الحكومي والخاص وتعزيز الشراكة مع مؤسسات المجتمع.

٩- تمكين الكوادر الأكاديمية من التطور الذاتي والمعرفي.

١٠- الإسهام في إحياء التراث الإسلامي وربطه بواقع الحياة لبناء الشخصية الإسلامية وتعزيز الوطنية.

١١- توثيق صلة المجتمع بتاريخه وتراثه وربطه مع الصالح من الحضارات والثقافات العالمية المعاصرة

المبحث الأول

التعريف ببرنامج الدراسات العليا

يتميز قسم الآثار عن بقية أقسام الكلية بتقديم برنامج في الدراسات العليا انطلاقاً من الدور الريادي والعلمي للقسم، وإسهاماً منه في تحقيق رغبات خرّيجيه من حملة البكالوريوس، وكذلك خريجو وخريجات أقسام الكلية وكليات الجامعة والجامعات السعودية الأخرى، في مواصلة تحصيلهم العلمي، ومواكبة حاجة قطاع الآثار والتراث الوطني لتلك الكوادر، فقد بدأ القسم في إنشاء برنامج الدراسات العليا عام ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨-١٩٨٧م على مستوى الماجستير، ثم على مستوى الدكتوراه سنة ١٤١٢-١٤١٣هـ/ ١٩٩٢- ١٩٩٣م، (دليل كلية السياحة والآثار، ٢٠١٦م: ٢٣) وفقاً لأهداف محددة تتمثل في:

١. إعداد المتخصصين في علم الآثار والمتاحف بمستوى أعلى من مرحلة البكالوريوس، بهدف سد الحاجة الوطنية بالكوادر المتعلمة.

٢. إثراء المعرفة الإنسانية عن التراث الحضاري للمملكة العربية السعودية بصفة خاصة والجزيرة العربية بصفة عامة.

٣. إثراء المادة الأثرية والتراثية الحضارية عن المملكة العربية السعودية من خلال الدراسات والبحوث المكتبية والأعمال الميدانية لطلاب الدراسات العليا.

وحتى تتحقق أهداف القسم ورؤيته ورسالته بشكل أفضل لم يكتف القسم عند قبوله لطلاب الدراسات العليا بما ورد في لائحة الدراسات العليا في الجامعة، بل وضع شروطاً إضافية تتمثل في اجتياز اختبارات تحريرية، وشفوية، ودراسة عدد من المقررات التكميلية لمن التحق ببرنامج الدراسات العليا بالقسم من غير خريجيه، وذلك على النحو الآتي:

برنامج الماجستير:

يتعين على طالب الماجستير اجتياز مقررات الخطة الدراسية وإنهاء (٢٤) ساعة دراسية تتوزع على أربعة فصول دراسية، ومن ثم التسجيل لرسالته للماجستير ومناقشتها عند الانتهاء منها. (دليل كلية السياحة والآثار، ٢٠١٦م:٢٦)

وتضم التخصصات المتاحة في برنامج الماجستير مسارين:

- مسار الآثار القديمة والذي يتفرع إلى: العمارة القديمة، والفنون القديمة، والآثار الكلاسيكية.
- مسار الآثار الإسلامية والذي يتفرع إلى: العمارة الإسلامية، والفنون الإسلامية. (جامعة الملك سعود والآثار، ٢٠١٧م: ١٧).

برنامج الدكتوراه:

إلى جانب الشروط السابقة في القبول ببرنامج الماجستير فإنه يضاف في برنامج الدكتوراه شروط اجتياز امتحان اللغة الإنجليزية (التوفل) واجتياز الامتحان الشامل الذي يعقد بعد إكمال الطالب دراسة المقررات بنجاح.

ويتعين على طالب الدكتوراه اجتياز مقررات الخطة الدراسية وإنهاء (١٢) ساعة دراسية تتوزع على فصلين دراسيين، مضافاً إليها فصلٌ دراسيٌّ ثالثٌ خاصٌّ بالامتحان الشامل، ومن ثم ومن ثم التسجيل لأطروحته للدكتوراه ومناقشتها عند الانتهاء منها. (دليل كلية السياحة والآثار، ٢٠١٦م:٢٦).

وتضم التخصصات المتاحة في برنامج الدكتوراه أربعة مسارات:

- مسار آثار الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ.
- مسار الممالك العربية قبل الإسلام (١٠٠٠ق.م – ٥٠٠م).
- مسار العصور الإسلامية.
- مسار الكتابات. (جامعة الملك سعود والآثار، ٢٠١٧م: ١٨).

المبحث الثاني

مخرجات المرحلة الأولى من برنامج الدراسات العليا

تمثل هذه المرحلة الأولى الفترة التي كان القسم فيها ضمن منظومة كلية الآداب في الفترة ما بين نشأة البرنامج وحتى إنشاء كلية السياحة والآثار سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

وقد تمثلت مخرجات هذه الفترة بعدد لا بأس به من الرسائل العلمية التي تمت مناقشتها، والتي تنوعت ما بين رسائل ماجستير ورسائل دكتوراه تناولت موضوعات متنوعة عامة وتخصصية دقيقة كالعمارة والفنون والكتابات والنقوش الصخرية، وآثار ما قبل التاريخ، والمسكوكات، وفيما يأتي نفصل الحديث عن هذه المخرجات:

أولاً – من حيث الدرجة:

نوقشت خلال الفترة ٦٧ رسالة علمية، منها ٤٥ رسالة ماجستير، و ٢٢ رسالة دكتوراه، إذ يلاحظ أن عدد الخريجين الحاصلين على درجة الماجستير في هذه الفترة أكثر من الحاصلين على درجة الدكتوراه، مما يدل على أن غالبية من حصل على الماجستير لم يلتحق ببرنامج الدكتوراه.

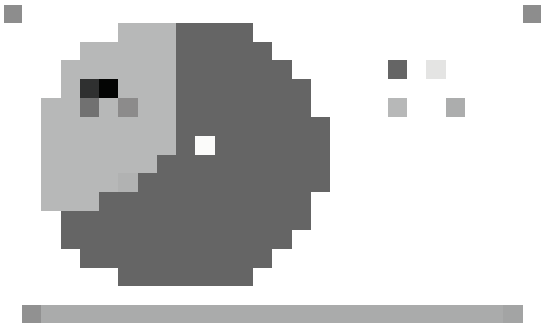

ثانياً - من حيث الجنس:

شكل الطلاب الذكور في هذه المرحلة الغالبية العظمى من حيث عدد الرسائل العلمية التي نوقشت سواء في الماجستير أو الدكتوراه، ويرجع السبب في ذلك إلى عدم وجود برنامج دراسي خاص بالطالبات في مرحلة البكالوريوس في مجال الآثار.

وقد بلغ عدد الرسائل العلمية التي ناقشها الطلاب ٥٥ رسالة، ٣٧ منها للماجستير، و١٨ للدكتوراه، بينما بلغ عدد الرسائل العلمية التي ناقشتها الطالبات ١٢ رسالة فقط، ٨ رسائل منها للماجستير و٤ رسائل للدكتوراه.

ثالثاً - من حيث الجنسية:

من مجموع ٦٧ رسالة نوقشت في المرحلة الأولى نجد أن الغالبية العظمى كانت للسعوديين والسعوديات بمجموع ٦٠ رسالة، ٤٨ منها للطلاب و١٢ للطالبات.

أما غير السعوديين فبلغ عددهم ٧ طلاب، ٣ منهم في الماجستير موزعون على كل من المغرب، والأردن، والبحرين، بواقع طالب واحد من كل دولة، فيما حصل على الدكتوراه ٤ طلاب جميعهم من الجنسية الأردنية.

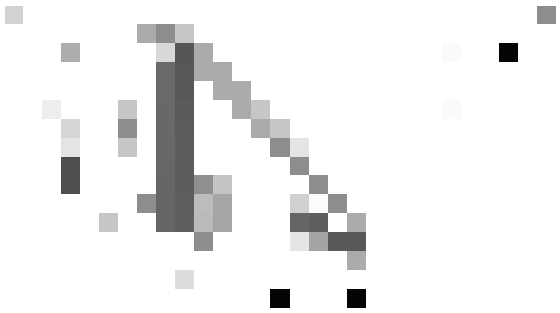

رابعاً - من حيث التخصص:

تعددت تخصصات الرسائل العلمية التي أنجزت ونال بموجبها طلاب وطالبات الدراسات العليا درجتي الماجستير والدكتوراه، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول - التخصص العام:

ونقصد به الرسائل العلمية التي لا تنتمي إلى أي من تخصصات الآثار الرئيسة: الآثار القديمة، والآثار الإسلامية، أو الدقيقة، كالعمارة، الفنون، الكتابات، المسكوكات...الخ. والتي يمكن تصنيفها ضمن تخصصات العلوم المساعدة، وقد بلغ عدد الرسائل التي نوقشت من هذا النوع ٤ رسائل.

النوع الثاني - تخصص الآثار القديمة:

وهو التخصص الذي يتناول آثار ما قبل الإسلام، وبلغت الرسائل العلمية التي نوقشت فيه في المرحلة الأولى ٢٨ رسالة، منها ٦ رسائل في تخصص العمارة، و٧ رسائل في تخصص الفنون، و١٠ رسائل في تخصص الكتابات، ورسالتان في تخصص ما قبل التاريخ، و٣ رسائل في الآثار القديمة تناولت مختلف جوانب التخصصات الأثرية القديمة مما لا يمكن معها تصنيفها إلى أي من التخصصات الدقيقة.

النوع الثالث - تخصص الآثار الإسلامية:

شكلت الرسائل العلمية التي نوقشت في هذا التخصص الغالبية من إجمالي عدد الرسائل التي نوقشت في المرحلة الأولى، حيث بلغ عددها ٣٥ رسالة، منها: ١٢ رسالة في تخصص العمارة، و ٩ رسائل في تخصص الفنون، و ٤ رسائل في تخصص الكتابات، و ٤ رسائل في تخصص المسكوكات، و٦ رسائل في تخصص الآثار الإسلامية تناولت مختلف جوانب التخصصات الأثرية الإسلامية مما لا يمكن معها تصنيفها إلى أي من التخصصات الدقيقة.

خامساً - من حيث البلدان:

احتلت الرسائل التي تناولت آثار المملكة العربية السعودية، بمختلف أنواعها، موقع الصدارة من حيث العدد بواقع ٤٩ رسالة، فيما احتلت آثار اليمن المرتبة

الثانية بواقع ٦ رسائل علمية، وجاءت آثار الأردن في المرتبة الثالثة بواقع ٤ رسائل، وهنـاك ٤ رسائل تتنـاول موضوعات عامة لا يمكن نسبتهـا إلى آثار بلد معين، كما تم تناول آثار كل من: البحرين، والهند، ومصر وسوريا بواقع رسالة واحدة عن كل بلد منها.

سادساً - من حيث السنوات:

لم تشهد السنوات الأربع التالية لفتح البرنامج أي خريج، وهذا أمر طبيعي، إذ لا بـد أن تمر فترة من الوقت حتى ينتهي الطلاب من كتابة رسائلهم، وقد تخرجت أول دفعـة بعـد أربـع سنوات من فتح البرنامـج أي سنة ١٤١٢هـ وكان العدد فقط طالبين، ثم أخذ العدد يتزايد إلى أن وصل سنة ١٤١٧هـ إلى ١٠ (طلاب وطالبات)، ثـم تناقص العدد ليصـل إلى الصفر سنة ١٤٢١هـ، ليعود مـرة أخرى إلى التزايد نسبياً ليصل في سنة ١٤٢٦هـ إلى ١١ طالبًا وطالبة.

المبحث الثالث

مخرجات المرحلة الثانية من برنامج الدراسات العليا

تمثل المرحلة الثانية الفترة التي أصبح القسم فيها ضمن منظومة كلية السياحة والآثار فيما بين ١٤٢٦- ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، وقد تميزت مخرجات هذه الفترة بالزيادة والتنوع من حيث الكم والكيف، فمن حيث الكم تميزت هذه الفترة بزيادة إقبال الطلاب والطالبات على الدراسة في برنامج الدراسات العليا بالقسم، ومن حيث الكيف تنوعت الموضوعات التي تم تناولها، فإلى جانب الموضوعات الأثرية تم تناول موضوعات تتعلق بالتراث التقليدي العمراني والفني والصناعي، والعرض المتحفي، فضلاً عن موضوعات السياحة وعلاقتها بالآثار والتراث، بما يخدم تخصصات الكلية الأخرى المتمثلة بأقسام الآثار، والسياحة، والتراث، وفيما يلي بيان بأنواع مخرجات البرنامج:

أولاً - من حيث الدرجة:

نوقشت خلال الفترة ٩٨ رسالة علمية، منها ٧١ رسالة ماجستير، و ٢٧ رسالة دكتوراه. والملاحظة نفسها التي وجدناها في المرحلة الأولى تتكرر في هذه المرحلة والمتمثلة بأن عدد الخريجين الحاصلين على درجة الماجستير في هذه الفترة أكثر من الحاصلين على درجة الدكتوراه، مما يدل على أن غالبية من حصل على الماجستير لم يلتحق ببرنامج الدكتوراه.

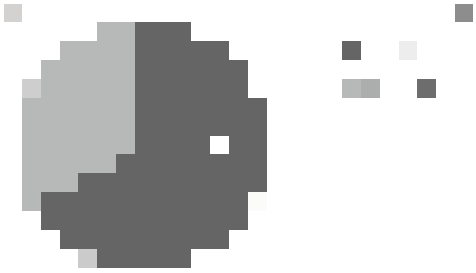

ثانياً - من حيث الجنس:

شكلت الطالبات في هذه المرحلة الغالبية العظمى من حيث عدد الرسائل العلمية التي نوقشت سواء في مرحلة الماجستير أو مرحلة الدكتوراه، مما يشكل علامة استفهام حول سبب إقبال الطالبات على برنامج الدراسات العليا رغم عدم وجود برنامج للطالبات في مرحلة البكالوريوس بالقسم؛ إذ بلغ عدد الرسائل العلمية التي ناقشها الطلاب ٤٣ رسالة، ٣١ منها للماجستير، و ١٢ للدكتوراه، بينما بلغ عدد الرسائل العلمية التي ناقشتها الطالبات ٥٥ رسالة، ٤٠ رسالة منها للماجستير و ١٥ رسالة للدكتوراه.

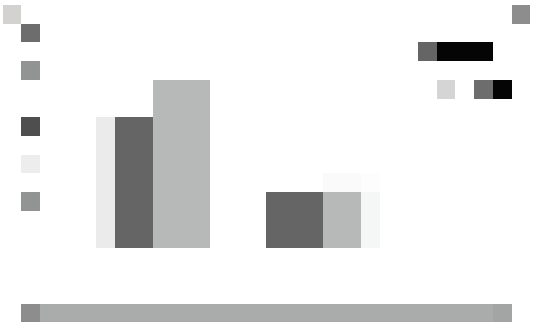

ثالثاً - من حيث الجنسية:

من مجموع ٩٨ رسالة نوقشت في المرحلة الثانية جاءت الغالبية العظمى للخريجين من السعوديين والسعوديات بمجموع ٨٥ رسالة، ٣٢ منها للطلاب و٥٣ للطالبات.

أما غير السعوديين فبلغ عددهم ١٣ طالبًا وطالبة، ٧ منهم في الماجستير موزعون على كل من اليمن ٦ طلاب، والكويت طالب واحد، فيما حصل على الدكتوراه ٦ طلاب وطالبات، ٢ منهم من الأردن (طالب وطالبة)، وطالب واحد من كل من اليمن والبحرين والكويت، وطالبة واحدة من مصر.

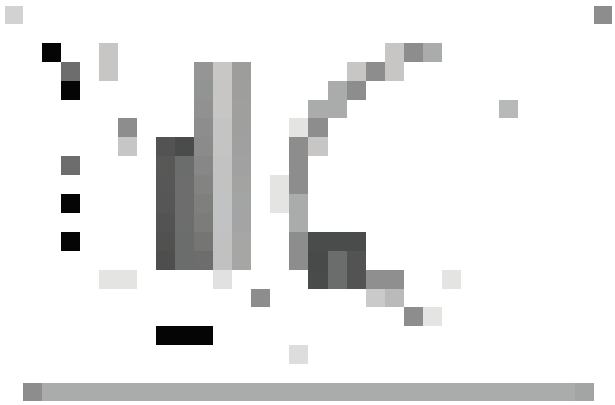

رابعاً - من حيث التخصص:

تعددت تخصصات الرسائل العلمية التي أنجزت ونال بموجبها طلاب وطالبات الدراسات العليا درجتي الماجستير والدكتوراه، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول - التخصص العام:

ونقصد به الرسائل العلمية التي لا تنتمي إلى أيٍّ من تخصصات الآثار الرئيسة: القديم، والإسلامي، أو الدقيق: كالعمارة، والفنون، والكتابات، والمسكوكات...الخ، والتي يمكن تصنيفها ضمن تخصصات العلوم المساعدة، وقد بلغ عدد الرسائل التي نوقشت من هذا النوع ٩ رسائل.

النوع الثاني - تخصص الآثار القديمة:

بلغت الرسائل العلمية التي نوقشت فيه في المرحلة الثانية ٤٠ رسالة، منها ٤ رسائل في تخصص العمارة، و١٤ رسالة في تخصص الفنون، و١٣ رسالة في تخصص الكتابات، ورسالتان في تخصص المسكوكات، و٧ رسائل في تخصص آثار ما قبل التاريخ.

النوع الثالث - تخصص الآثار الإسلامية:

شكلت الرسائل العلمية التي نوقشت في هذا التخصص الغالبية من إجمالي عدد الرسائل التي نوقشت في المرحلة الثانية، حيث بلغ عددها ٤٩ رسالة، منها: ١٢ رسالة في تخصص العمارة، و ١٩ رسائل في تخصص الفنون، و ٤ رسائل في تخصص الكتابات، و ٩ رسائل في تخصص المسكوكات، و٥ رسائل في تخصص الآثار الإسلامية بشكل عام.

خامساً - من حيث البلدان:

احتلت الرسائل التي تناولت آثار المملكة العربية السعودية، بمختلف أنواعها، المرتبة الأولى من حيث العدد بواقع ٦٨ رسالة، فيما احتلت آثار اليمن المرتبة الثانية بواقع ١٤ رسالة، وجاءت آثار الكويت في المرتبة الثالثة بواقع رسالتين، كما تم تناول

آثـار كل من: البحريـن، والأردن، وعمان، والأندلس بواقع رسالة واحدة عن كل بلد منها، فضلاً عن ١٠ رسائل تناولت موضوعات عامة لا تختص ببلد معين.

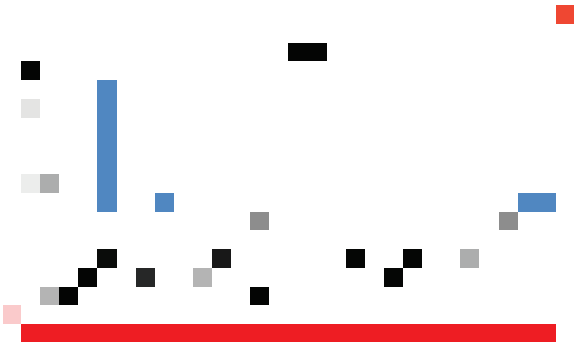

سادساً - من حيث السنوات:

بلـغ عـدد الخريجين في السنـوات الاثنتي عشرة التي تمثـل المرحلة الثانية ٩٨ طالبًـا وطالبـة، تفاوتت أعداد تخرجهم من سنة إلى أخـرى زيادة ونقصانًا، وتعد سنة ١٤٢٨هـ أقل السنوات في عدد الخريجين بواقع خريجين اثنين فقط، فيما تعد سنة ١٤٣٨هـ أعلى السنوات في عدد الخريجين بواقع ١٧ خريجًا.

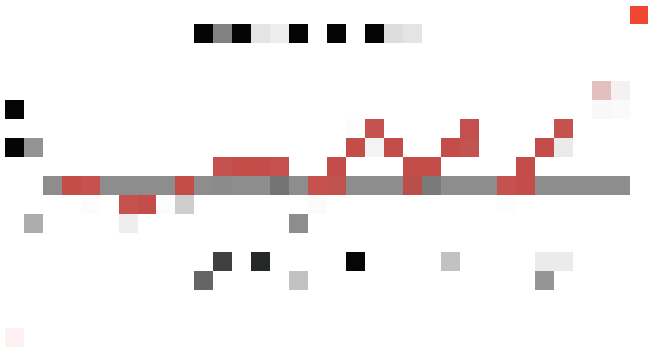

المبحث الرابع

دراسة مقارنة لمخرجات المرحلتين الأولى والثانية:

بيّنّا سابقاً أن عمر برنامج الدراسات العليا بالقسم ٣٠ سنة، ١٨ سنة تخص المرحلة الأولى، و١٢ سنة تخص المرحلة الثانية، وإذا ما استبعدنا السنوات الأربع الأولى من عمر المرحلة الأولى باعتبارها سنوات التأسيس - اجتياز المقررات وإعداد الرسائل ومن ثم مناقشتها- حيث نوقشت أول رسالة بعد أربع سنوات من إنشاء البرنامج أي في سنة ١٤١٢هـ، فتكون المدة الفعلية للمرحلة الأولى ١٤ سنة، والثانية ١٢ سنة.

وفيما يأتي تحليل لمخرجات كلتا المرحلتين:

أولاً - من حيث المخرجات:

- من حيث الأعداد: بالرغم من أن المرحلة الثانية تقل عن المرحلة الثانية بسنتين فإن مخرجاتها من الرسائل التي نوقشت تزيد عن مخرجات المرحلة الأولى بواقع ٣١ رسالة، مما يدل على أن المرحلة الثانية شهدت تطوراً من حيث الكم، وربما أن الدافع لذلك هو ذلك الظهور الذي شكله اقتران اسم القسم باسم الكلية "كلية السياحة والآثار" في حين لم يكن له ذلك الظهور اللافت في المرحلة الأولى بسبب عدم وجود كلمة "الآثار" مقترنة باسم كلية الآداب.

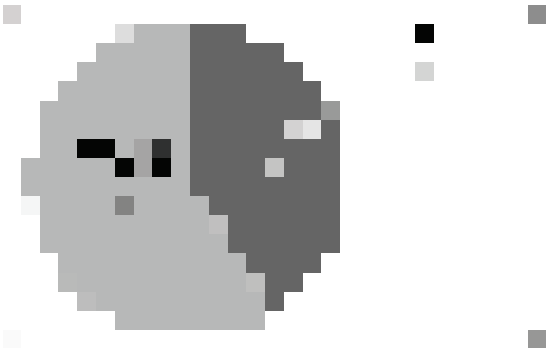

- من حيث الدرجة: نوقشت في المرحلة الأولى ٤٥ رسالة ماجستير، و ٢٢ رسالة دكتوراه، ونوقشت في المرحلة الثانية ٧١ رسالة ماجستير، و ٢٧ رسالة دكتوراه، ويلاحظ زيادة العدد في المرحلة الثانية عنه في المرحلة الأولى سواء في أعداد رسائل الماجستير أو الدكتوراه، وبشكل عام فقد بلغ عدد رسائل الماجستير ١١٦ رسالة، وعدد رسائل الدكتوراه ٤٩ رسالة.

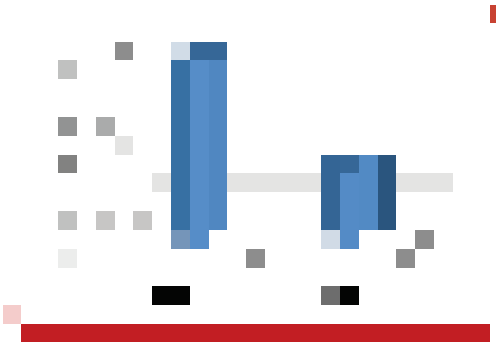

- من حيث الجنس: تصدر الطلاب في عدد الرسائل التي نوقشت في المرحلة الأولى بواقع ٥٥ رسالة مقابل ١٢ رسالة للطالبات، في حين تصدرت الطالبات المرحلة الثانية بواقع ٥٥ رسالة مقابل ٤٣ رسالة للطلاب، وفي مجموع رسائل المرحلتين، جاء الطلاب في المرتبة الأولى بواقع ٩٨ رسالة مقابل ٦٧ رسالة للطالبات.

- **من حيث الجنسية:** حقق السعوديون المرتبة الأولى في كلا المرحلتين في عدد الرسائل التي نوقشت بواقع ١٤٥ رسالة مقابل ٢٠ رسالة لغير السعوديين.

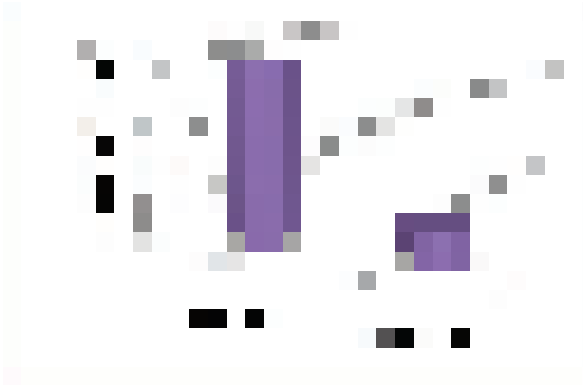

- **من حيث التخصص:** بلغ إجمالي الرسائل التي نوقشت في التخصص العام ١٣ رسالة، وفي تخصص الآثار القديمة، ٦٨ رسالة، وفي تخصص الآثار الإسلامية ٨٤ رسالة، ومن ثم احتل تخصص الآثار الإسلامية الصدارة في كلٍّ من المرحلتين الأولى والثانية، وكذلك في مجموع المرحلتين معاً.

- **من حيث البلدان:** تنولت آثار عدد من البلدان ووجد أن آثار المملكة العربية السعودية جاءت في المرتبة الأولى في عدد الرسائل في المرحلتين بإجمالي ١١٧ رسالة، وجاءت اليمن في المرتبة الثانية بعدد ٢٠ رسالة، فالأردن ٥ رسائل، ورسالتان لكل من: البحرين والكويت، ورسالة واحدة لكل من: مصر، وسوريا، وعمان، والأندلس، والهند، فضلاً عن ١٤ رسالة لا يمكن نسبتها إلى بلد معين.

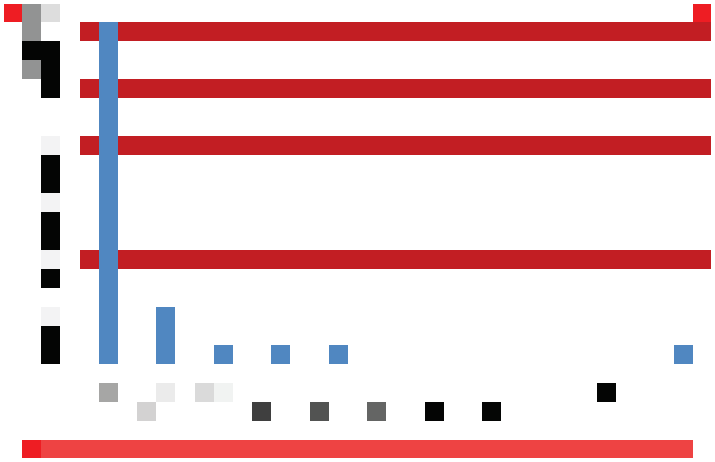

- **من حيث السنوات:** تميزت المرحلة الثانية بعدم خلو أيٍّ من سنواتها من الرسائل المناقشة، في حين خلت كل من السنتين ١٤١٣، ١٤٢١هـ في المرحلة الأولى من الرسائل المناقشة، والملاحظة العامة هو التذبذب العام في كلتا المرحلتين في أعداد الرسائل المناقشة زيادة ونقصاناً، وأقل سنة في المناقشات – إذا ما استبعدنا السنتين اللتين خلتا من المناقشات – هي سنة ١٤٢٢هـ بواقع طالب واحد، فيما مثلت سنة ١٤٣٨هـ أعلى السنوات مناقشة بواقع ١٨ رسالة.

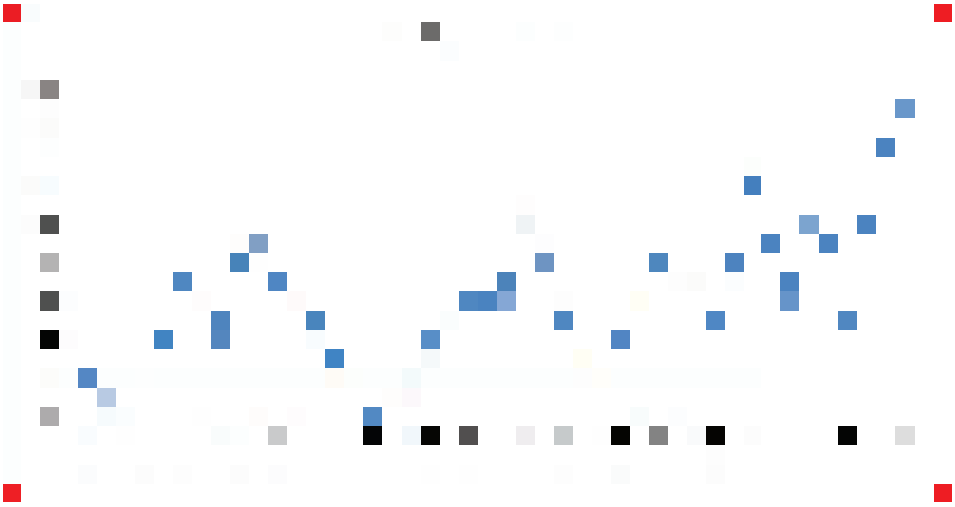

ومن الملاحظات المهمة أن عدد الرسائل التي نوقشت في السنوات الأربع الأخيرة من المرحلة الثانية – ١٤٣٥-١٤٣٨هـ - يماثل عدد الخريجين فيها السنوات الثماني الأولى من المرحلة نفسها بواقع ٤٨ رسالة من إجمالي ٩٨ رسالة، وبما نسبته ٢٩٪ من إجمالي عدد الرسائل التي نوقشت طوال عمر البرنامج والبالغ عددها ١٦٥ رسالة، ويرجع السبب في ذلك – باعتقادي - إلى الجهود الكبيرة التي بذلتها إدارة القسم في المتابعة من خلال حث كل من المشرف والطالب على الإنجاز مشفوعاً بتقرير فصلي أو أكثر عن كل طالب، والتي انعكست إيجابيًّا على زيادة أعداد الخريجين في السنوات الأربع الأخيرة مقارنة بما سبقها.

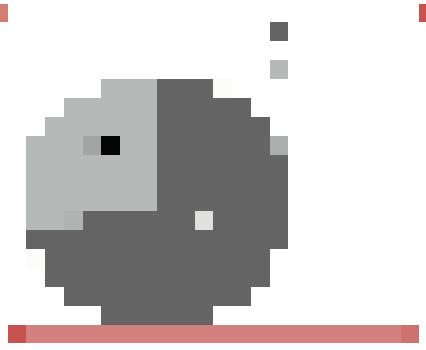

ثانياً- من حيث الاتجاهات والميول:

أ- من حيث الاتجاهات:

تشكل موضوعات الرسائل التي نوقشت مرآة تدلنا على اتجاهات وميول الطلاب والطالبات نحو تخصص معين من تخصصات القسم الرئيسة والفرعية.

ففي التخصصات الرئيسة نلحظ توجه الطلاب والطالبات نحو تخصص الآثار الإسلامية أكثر من تخصص الآثار القديمة، إذ بلغ عدد الرسائل التي نوقشت في تخصص الآثار الإسلامية ٨٤ رسالة مقابل ٦٨ رسالة لتخصص الآثار القديمة، و١٣ رسالة لتخصص الآثار العام.

وفي التخصصات الفرعية (الدقيقة) نلاحظ أن تخصصات الآثار القديمة تصدرها إقبالاً تخصص الكتابات بحوالي ٢٣ رسالة، تلاه تخصص الفنون بحوالي ٢١ رسالة، أما في تخصصات الآثار الإسلامية فقد احتل تخصص الفنون الصدارة بواقع ٢٨ رسالة تلاه تخصص العمارة بواقع ٢٤ رسالة.

وفي كلا التخصصين (القديم والإسلامي) جاءت الفنون على رأس تخصصات القسم إقبالا بواقع ٤٩ رسالة، تلاه تخصص العمارة بواقع ٣٤ رسالة، فتخصص الكتابات بواقع ٣١ رسالة، فيما مثل تخصص آثار ما قبل التاريخ أقل التخصصات إقبالاً بواقع ٩ رسائل.

ب- من حيث الميول:

من خلال الرسائل التي نوقشت نستطيع تحديد ميول كل من الطلاب والطالبات نحو تخصص معين من تخصصات الآثار:

ففي التخصصات العامة التي تتناول الآثار بشكل عام، أو تتناول دراسة موضوعات العلوم المساعدة للآثار، كموضوعات المتاحف أو إدارة المواقع السياحية أو التراثية، أو الترميم ..الخ، فنلحظ ميل الطلاب إلى دراستها أكثر من الطالبات، إذ بلغت عدد الرسائل التي ناقشها الطلاب ٢٢ رسالة مقابل ٧ رسائل للطالبات.

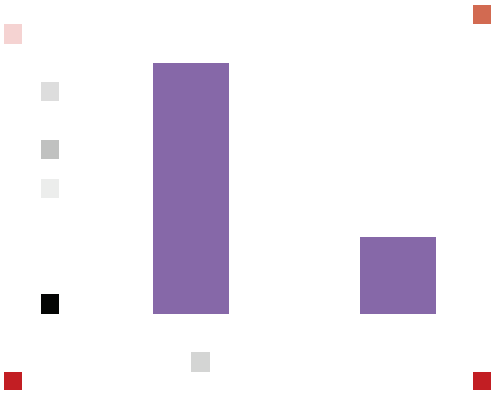

أمـا في التخصصات الدقيقـة، فنلحظ ميول الطلاب نحـو تخصص العمارة أكـثر مـن باقي التخصصـات، إذ بلغ عدد رسائل الطلاب في هـذا التخصص ٢١ رسالـة مقابل ١٢ رسالة للطالبـات، وتلاه تخصص الكتابـات، إذ بلغ عدد رسائل الطلاب ١٩ رسالة مقابل ١٤ رسالة للطالبات، ثم تخصص المسكوكات إذ بلغ عدد رسائل الطلاب ٩ رسائل مقابل ٦ رسائل للطالبات.

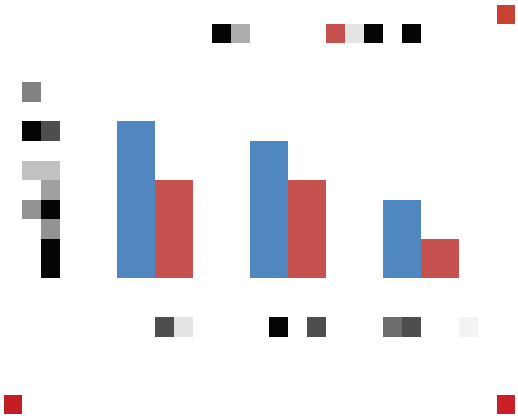

وفي المقابـل نلحظ ميل الطالبات إلى دراسـة موضوعات تخصص الفنون، إذ بلغت رسائل الطالبات المناقشة ٢٦ رسالة مقابل ٢٣ رسالة للطلاب، وكذلك الحال في دراسة موضوعات آثار ما قبل التاريخ، إذ بلغت رسائل الطالبات ٥ رسائل مقابل ٤ رسائل للطلاب.

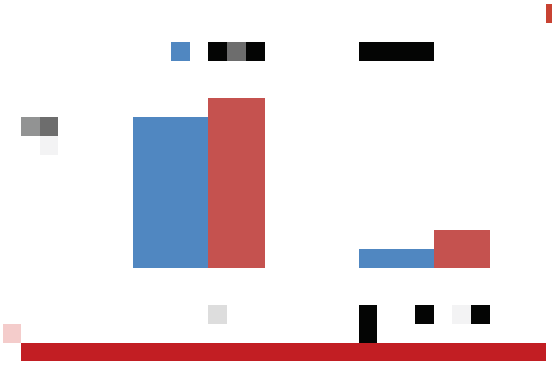

الخاتمة

تناول البحث التعريف بنشأة قسم الآثار ورؤيته ورسالته وأهدافه، وبرنامج الدراسات العليا ونشأته، ومراحل تطوره ومخرجاته وأنواعه، ومن ثم تحليل ومقارنة مخرجات مرحلتي تطور البرنامج، وتحديد اتجاهات وميول الطلاب والطلاب نحو تخصصات البرنامج المتنوعة، ومن خلال ما سبق نستنتج ما يأتي:

١. أن الغالبية العظمى من رسائل الماجستير والدكتوراه التي نوقشت كانت من إعداد الطلاب والطالبات السعوديين.

٢. أن غالبية الرسائل التي نوقشت كانت من إعداد الطلاب.

٣. احتل تخصص الآثار الإسلامية صدارة التخصصات في عدد الرسائل العلمية التي نوقشت مقارنة بكل من التخصصات القديمة والعامة.

٤. احتلت الموضوعات الأثرية في المملكة العربية السعودية صدارة الرسائل التي نوقشت، تلتها موضوعات الآثار في اليمن.

٥. تصدرت موضوعات تخصص الفنون قائمة التخصصات الدقيقة من حيث إقبال الطلاب والطالبات على دراستها، تلاه تخصص العمارة ثم تخصص الكتابات.

٦. يميل الطلاب إلى دراسة الموضوعات التي تتطلب جهداً بدنياً ومالياً ومعملياً كموضوعات العمارة والمسكوكات، بينما تميل الطالبات نحو التخصصات الأقل جهداً كتخصصات الفنون.

مصادر بيانات الدراسة

١. التقارير السنوية لقسم الآثار للسنوات ١٤٣٠-١٤٣٨هـ.

٢. جامعة الملك سعود والآثار، ٢٠١٧م

٣. جامعة الملك سعود، دليل رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة الملك سعود للكليات النظرية والإنسانية، دون تاريخ.

٤. دليل كلية السياحة والآثار للعام الجامعي ١٤٣٧-١٤٣٨هـ.

٥. دليل رسائل الآثار ١٤١٢-١٤٢٦هـ، مكتبة قسم الآثار.

٦. سجل الرسائل بوكالة كلية السياحة والآثار للدراسات العليا.

٧. سجل الرسائل بوحدة الدراسات العليا بقسم الآثار.

٨. سجل الرسائل المودعة بمكتبة قسم الآثار.